جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أدب المقاومة في ديوان "أبجدية المنفى والبندقية" لإسماعيل إبراهيم شتات

-نماذج مختارة-

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي في اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبتين:

شلقي أحلام

أولاد العيد مليكة

إشراف الأستاذ:

د.خرازي مسعود

الموسم الجامعي:

1444هـ-1445هـ / 2023م-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وها نحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع

إلى منارة العلم والإمام المصطفي إلى الأمي الذي علم المتعلمين

إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة.

إلى من سعى وشقي لأنعم بالراحة والهناء الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى والدي العزيز

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي

إلى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع

إلى من تكاتفنا يداً بيد إلى صديقاتي وزميلاتي

شلقي أحلام

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك،

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك،

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، فلك الحمد سبحانك.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها وكانت كالشمعة تضيء لي حياتي وكانت دعواتها تشق لي طريقي

إلى من حبها يملأ قلبي وهي سبب سعادتي وسر وجودي

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء، إلى من حاكت سعادتي بخيوط من ذهب: "أمي الحبيبة"

إلى من علمني أن الحياة أخذ وعطاء وغرس في روح الأخلاق ودفعني إلى النجاح: "أبي الغالي"

إلى من قاسمني حب الوالدين شموع حياتي ومؤنسات أيامي إخواني وأخواتي

إلى أقاربي الأعزاء وإلى كل الأساتذة والأفاضل

إلى من شاركوني أفراحي إلى من قاسمني عناء هذا البحث وإلى صديقاتي وزميلاتي في المشوار الجامعي

أولاد العيد مليكة

شكروتقدير

الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى على جميع نعمه وفضله الذي وفقنا وجمع شملنا وسدد خطانا لإتمام هذا العمل المتواضع.

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا بزملاء وزميلات كانوا إلى جانبنا.

فواجب علينا شكرهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة.

نتقدم بأسمى عبارات التقدير والعرفان وأزكى معاني الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور المشرف: خرازي مسعود الذي تكرم بإشرافنا وأشعل شمعة في دروب عملنا وعلى صبره معنا في تقديم النصح والتوجيهات والآراء النيرة طوال فترة الدراسة.

ونخص بجزيل الشكر والعرفان لجنة المناقشة كل باسمه ومقامه

وإلى كل الأساتذة الأفاضل وكل من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا خير فلهم منا كل التقدير والاحترام.

وإلى كل الذين رافقونا في مشوارنا الجامعي وأحسنوا إلينا بعلمهم وكانت منالا لآمالنا وطموحاتنا وسر بلوغنا لما نحن عليه.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا يد المساعدة في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد راجين من المولى عز وجل بأن نبلغ خاتمة جهدنا من الهدف المقصود.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين الحمد لله رب العالمين.

ملخص

يهدف هذا البحث الذي يحمل عنوان **أدب المقاومة في ديوان "أبجدية المنفى والبندقية" لإسماعيل إبراهيم شتات –نماذج مختارة–** إلى الكشف عن فصول المقاومة في الشعر الفلسطيني المتمثل في شعر "ابن الشاطئ" وهو الاسم المعروف به شعريا، ومن خلال المقاومة نركز على ظاهرة الاغتراب التي نعتبرها جزءا مهما منها؛ لأنها رفض للمستعمر، ومن يرفض المستعمر فإنه لا شك يقاومه، والاغتراب كونها ظاهرة قديمة منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا، ومع ذلك لم يكن له تعريف دقيق ومحّدد سواء عند الغرب أو عند العرب، وقد تجلّت هذه التّجربة في حياة الشّعراء المغتربين عامّة وفي حياة الفلسطيني اسماعيل ابراهيم شتّات (ابن الشّاطئ) خاصّة، من خلال ديوانه الّذي برزت فيه أنماط مختلفة من الاغتراب منها الاجتماعي والنّفسي والسّياسي والمكاني.

الكلمات المفتاحية: اغتراب، ابن الشّاطئ، منهج أسلوبي، انزياح، أدب المقاومة.

Abstract:

This research, titled "The Literature of Resistance in the Collection 'Alphabet of Exile and the Rifle' by Ismail Ibrahim Shatat - Selected Modules," aims to uncover chapters of resistance in Palestinian poetry, as exemplified in the poetry of "Ibn al-Shatie" the name by which he is known poetically. Through resistance, we focus on the phenomenon of alienation, which we consider an important part of it; because it is a rejection of the colonizer, and whoever rejects the colonizer undoubtedly resists him. Alienation, being an ancient phenomenon from the pre-Islamic era to this day, nevertheless has no precise and specific definition, whether in the West or among Arabs. This experience was manifested in the lives of expatriate poets in general and in the life of the Palestinian Ismail Ibrahim Shatat (Ibn al-Shatie) in particular, through his collection in which different patterns of alienation emerged, including social, psychological, political, and spatial.

Keywords: Alienation, Ibn al-Shatt, Stylistic Approach, Deviation, fighting literary.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الكريم الأكرم، خلق الانسان من عدم، علّم بالقلم وعلّمه مالم يعلم هداه بكلامه للّتي هي أقوم، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وخاتم النّبيئين بعثه الله للنّاس أجمعين للعرب وللعجم، رحمة لهم، سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وعلى من اقتفى أثره والتزم، وبعد:

تعيدنا المقاومة إلى القديم حيث عاش الإنسان مراحل عمره مقاوما ليوفر لنفسه أسباب الحرية والسعادة في أوساط تقترف الظلم بشتى صوره؛ وعلى رأس هذا الظلم ما يقترفه المستعمر في حق الشعوب، سالبا إياها حريتها وكرامتها وحقها الطبيعي في العيش الكريم كما أراداه الله تعالى لخلقه، وتشاء الأقدار أن تتعرض البلاد العربية لشتى أنواع القهر الاستعماري، وقاومت بكل ما تملك من قوة وإرادة فتحررت الواحدة تلو الأخرى، ولنا في الجزائر خير دليل على ذلك، وتبقى القضية الفلسطينية تصارع هذا الاحتلال الصهيوني الغاشم، وتظل مقاومتها سارية إلى اليوم، والشاعر ابن الشاطئ أحد رموزها الشعرية والذي يمثل شعره صورة من صور المقاومة في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ولذلك نجد ديوانه الذي اعتمدناه مدونة لدراسة هذا الأدب يحمل كثيرا من مظاهر المقاومة مثل الدعوة إلى الكفاح، وإدانة الحكام العرب المستسلمين بشتى أنواع الاستسلام من التطبيع الظاهر منها والخفي وخفايا السجون وما يعانيه الأسرى من القهر والظلم، ومن المقاومة الإشادة بالوطن والتركيز على محبته والتعلق به، والدعوة إلى الأمل في المستقبل وعدم الخضوع للتشاؤم والاستسلام، وقد تكون الهجرة والنفي والاغتراب مظاهر أخرى من مظاهر المقاومة، وكل أديب أو شاعر مقاوم تكون هذه هي موضوعاته، وكل يقاوم حسب إمكاناته.

وما لفت انتباهنا عند الشاعر ابن الشاطئ هو عمق إحساسه بالاغتراب، فهو الشاعر المتنقل عبر البلدان إلى أن استقر به المقام بجيجل بالجزائر، فكان هذا الشعور هو الذي حرك فينا مشاعر ما كان يحمله هذا الشاعر المقاوم، ووجدنا ظاهرة الاغتراب في هذا المنحى مساعدة على فهم طريقة مقاومة بعضهم للاستعمار، فالرفض هو الذي أوصل الشاعر ابن الشاطئ ليبرز فصلا من فصول

مقاومة الاستعمار، فماذا ننتظر من شاعر يرى مستعمرا يستعبده وينكر وجوده، ويعدم قضيته المشروعة، ويهدر كرامته.

وإذا حاولنا أن نقف عند ظاهرة الاغتراب التي هي شكل من أشكال المقاومة فإننا نرحل إلى زمن خروج سيّدنا آدم عليه السلام من عالم الجنّة إلى الأرض، إلى الراهن الّذي لا يزال يحتضن هذه المسألة الإنسانيّة بشتّى معالمها آمالا وآلاما، وقد شغل هذا الموضوع دراسات عديدة الاجتماعية منها والنّفسيّة، فنجده في جميع الأجناس الأدبيّة رواية وشعرا، ثم إنه الجنس الأدبي اللاّصق بالنّفس الإنسانيّة والمعبّر عنها روحا وفكرا، حيث نجد أن مختلف التّجارب الشّعريّة عامّة والفلسطينيّة خاصّة تمرّست مفهوم الاغتراب من خلال معاناة الشّعب الفلسطيني من غطرسة وتعذيب وتنكيل وممارسات لا إنسانية للاحتلال الصّهيوني والقوى الغربيّة الّتي تمدّه بأسباب بقائه.

وإدراكاً منّا لأهميّة هذا الموضوع حاولنا تناوله من خلال أحد رموز الشّعر الفلسطيني المعاصر، وذلك في تجربة اسماعيل ابراهيم شتّات (ابن الشّاطئ) الشّعرية الّذي عانى النّفي والتّهجير وفراق أرضه موزعا بين عدّة أقطار، ورغبة منّا في التّعرف على شخص الشّاعر ابن الشّاطئ ومكانته الشّعرية بين الشّعراء العرب عامّة والجزائريّن خاصّة، جاء بحثنا موسوما بـ: **أدب المقاومة في ديوان "أبجدية المنفى والبندقية" لإسماعيل إبراهيم شتات –نماذج مختارة–** وذلك بعرض بعض النّماذج المختارة من ديوانه لتكون دليلا لنا في تحليل هذه المفاهيم المتعلّقة بالمقاومة عن طريق الغربة والاغتراب، وابن الشّاطئ لقب الشّاعر الفلسطيني اسماعيل ابراهيم شتّات، الشّاعر الّذي أثقلته حياة المنفى والشتات بعيدا عن وطنه، فكان ردّه على هذا النفي ردّا شعريّا مقاوما، وديوانه هذا وليد وطنه الثّاني الجزائر الّذي طاب له فيه المقام.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فتمثّلت في أسباب ذاتيّة ، وأخرى موضوعيّة، فالذاتيّة ميلنا لكل من يطالب بحقه، وليس غريبا أن يصدر هذا من أبناء الجزائر الذين عرفوا مراحل مقاومة بلدهم من جهة، وتعلقهم بالقضية الفلسطينية من جهة أخرى، وأما الموضوعيّة فتتمثّل في القضيّة الفلسطينيّة الّتي تعتبر موضوعا بارزا في الوقت الحالي، والّتي تحمل في طيّاتها تاريخا طويلا من الصّراع

والتّحديات، وما يعانيه الشّعب الفلسطيني من اغتراب داخل وطنه وخارجه، مبرزين مقاومته وذلك من خلال اختيارنا لمسألة الاغتراب كشكل من أشكال المقاومة، والتي برزت بشكل لافت في المدونة المختارة للشاعر ابن الشّاطئ.

وحاولنا من خلال بحثنا الإجابة عن إشكالية أساسيّة وهي: كيف تجلّت المقاومة عن طريق ظاهرة الاغتراب في شعر ابن الشّاطئ؟ ولعل الإجابة على هذه الإشكاليّة تقتضي الإجابة عن طائفة من الإشكاليات الفرعية منها: ما هو الاغتراب من منظور المقاومة؟ وكيف تجلّى عند العرب والغرب؟ وماهي أنماطه؟ وما هي بعض مظاهره الأسلوبيّة الطّاغية فيه؟ من مثل النّداء والاستفهام والتّكرار وغيرها من هذه الظّواهر الأسلوبيّة، مستعينين بالمنهج الأسلوبي في تحليل هذه الظّواهر، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كالمنهج الوصفي للحديث عن بعض ما يميّز الدّيوان من مظاهر الاغتراب.

وللإجابة عن هذه الأسئلة، ارتأينا بناء البحث وفق هيكلة تسهّل علينا عمليّة البحث والاستقصاء والتّحليل مقسّمين إيّاه إلى فصلين (نظري وتطبيقي) تتقدّمهما مقدمة.

فجاء الفصل الأول: **ماهية المقاومة ثم الاغتراب وأثر ذلك عند الغرب والعرب**، وقسّمناه إلى ثلاثة مباحث، فالأوّل ضمّ **مفهوم المقاومة والاغترابّ لغة واصطلاحا**، والثّاني تضمّن **مفارقة اصطلاحية بين الغربة والاغتراب**، أمّا المبحث الثّالث فرصدنا فيه مصطلح **الاغتراب عند الغرب أمثال هيجل وأفلاطون وماركس**، معرّجين على هذه الظّاهرة في الشّعر العربي القديم فنجد امرأ القيس، عنترة بن شدّاد، أبا عبد الله بن أسد المحاسبي، وصولا إلى الشّعر الحديث والمعاصر بأمثلة عن مدارس من مثل مدرسة الدّيوان ومدرسة المهجر.

أمّا الفصل الثّاني جاء بعنوان **أنماط الاغتراب وبعض ملامح الأسلوبيّة في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشّاطئ** بتحليل بعض النّماذج المختارة، ضمّ مبحثين:

الأوّل بعنوان" **أنماط الاغتراب في الدّيوان"** حيث تطرّقنا إلى الاجتماعي منه والسّياسي والنّفسي والمكاني بأمثلة من الدّيوان، أمّا المبحث الثّاني فحمل عنوان **"بعض الملامح الأسلوبيّة في**

ديـوان ابـن الشّـاطئ" ركّـزنا فيـه علـى أهـمّ البنيـات الأسـلوبيّة البـارزة (النّـداء، الاسـتفهام، التّكـرار والتّناص).

لنختم بحثنا بأهمّ النّتائج المتحصّل عليها، وقد استقينا مادتنا العلميّة بالاعتماد على مجموعة من المصـادر والمراجـع الّتي سـاعدتنا على مناقشـة المسـائل الّتي بحثنـا فيهـا مسـألة الاغـتراب في ديـوان ابـن الشّاطئ "أبجدية المنفى والبندقيّة"، من بينها:

- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات فسيكولوجيّة الاغتراب.
- يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشّعر العربي.
- حسن حماد: الإنسان المغترب عند ايريك فروم.
- سعد مردف: الاغتراب وتداعياته في القصيدة العربيّة.
- محمد عبد الله جبر: الأسلوب والنّحو دراسة تطبيقيّة في علاقة الخصائص الأسلوبيّة ببعض الظّاهرات النّحويّة.

وغيرها من المراجع الّتي ساعدتنا في إثراء هذا البحث.

أمّا عن صعوبات البحث فالمقاومة من خلال مفهومي الغربة والاغتراب موضوع متشعّب ومنفتح على أكثر من مجال معرفي، أدبي، نفسي، اجتماعي، بالإضافة إلى قلّة الدّراسات حول أشعار اسماعيل ابراهيم شتّات.

وفي الختـام نقـول إن بحثنـا هـذا خطـوة في سـبيل التنقيـب في أغـوار الشـعر العـربي الحـديث والمعاصر، والاطلاع على بعض ملامح المقاومة الأدبية التي تؤسس للمقاومة المسلحة. كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور " مسعود خرازي " الذي لم يبخل عنا بتوجيهاته وإرشاداته وملاحظاته السديدة.

كما لا يسعنا في الأخير إلاّ أن نحمد المولى عزو وجل على فضله ومنّه أن وفقنا لإنجاز ما نراه بحثا حسبنا فيه الإخلاص وبذل الجهد، سائلين العلي القدير التوفيق والسداد.

تمهيد:

ملمح عن واقع الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر

تمهيد: ملمح عن واقع الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر

مما هو معروف أن الشعر قد لعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان عموما والإنسان المعاصر خصوصا في مختلف مجالات الحياة سياسيا واجتماعيا وأخلاقيا ودينيا وقد حفّز الشعوب على تحقيق الاستقلال من خلال بث الروح الوطنية والقومية والنّضال والحماس في النفوس، فقد دعا إلى التحرّر من ظلم المستعمر.

وحرّض على مقاومته كشف المستور، فالشّعراء بعثوا الحماس ودعوا إلى رفض المستعمر فاضحين جرائمه من خلال حركات التحرر، ولنا في الجزائر نموذج واضح لمثل هذا التحرر، وللشعراء الذين واكبوا ثورتها من أمثال محمد العيد آل خليفة، مفدي زكرياء، الشيخ أحمد سحنون وغيرهم، وللشعراء الفلسطينيين في هذا المجال دور كبير في مواكبة هذه الحركة التحررية ضدّ العدوان الصهيوني الغاشم، ومن جملة الشعراء الذين عرفتهم الساحة العربية شعريا ونضاليا محمود درويش، سميح القاسم، عزالدّين المناصرة، واسماعيل إبراهيم الشتات (ابن الشاطئ)، أحمد خضر دحبور، وتميم البرغوثي، وغيرهم.

وكان شعرهم سلاحا قويا لم يرصد هذه الثورة فقط وتتبّع مراحلها لكنه كان أوسع وعيا بحيث طرح جملة من التساؤلات التي تبعث على فهم أبعاد هذه الثورة ذات البعد الديني والقومي والإنساني "والإيمان بضرورة التمسك بحق العودة إلى أرض فلسطين وعدم التفريط فيها".[1]

وكان بذلك عنصرا فاعلا فيها داخل هذه الثورة ولم يعش خارجها، ونحن في هذا الإطار ارتأينا أن نتبع بعض أشعار ابن الشاطئ من خلال ديوانه أبجدية المنفى والبندقية الذي يشكّل في نظرنا نموذجا يرصد جانبا من جوانب الثورة الفلسطينية في مختلف تفاصيلها، وشاركوا في كافّة حروب الاستنزاف العربية الإسرائيلية من أجل التحرر، وقد أثّرت القضية الفلسطينية على الشعر الفلسطيني المعاصر فأصبح يمثل دائرة واسعة من دوائر الرّصد والمتابعة لأبعاد القضية الفلسطينية وملابساتها

[1] عبد القادر العربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر- المجلد:6، العدد: 1(2021)، ص64.

وأحداثها وتسلسلها التاريخي والزّمني، فالشّاعر الفلسطيني يقف شاهداً على صدى التّطور الفكري الكبير الذي وصل إليه وعيه فخرج من دائرة الرّصد والملاحظة إلى دائرة التّساؤل، من ثم إلى دائرة الكشف والتحليل، ومن ثم حدّد موقفه منها اجتماعياً وسياسياً ونضالياً فحدد بذلك دوره فيها.

وقد تُرجم هذا الواقع بشعر عربي فلسطيني، من خلال نخبة من الشعراء أمثال: محمود درويش وعزالدّين مناصرة، سميح القاسم، والشتّات، الذي يعتبر من الذين قاوموا بشعرهم المستعمر، وشكّلوا مشهدنا الشّعري في زمننا المعاصر.

الفصل الأول:

ماهية الاغتراب وأثره عند الغرب والعرب

المبحث الأول: المقاومة لغة واصطلاحا

تناولت المعاجم العربية مصطلح المقاومة، وذهبت فيه مذاهب، ومنه "**قاومه في المصارعة وغيرها، وتقاوموا في الحرب، أي: قام بعضهم لبعض" وهي من فعل (قَوَمَ)، ومنه قاوم قواما ومقاومة، أي: قام معه، ضاده.**[1]

وفيه إشارة واضحة للوقوف ضد كل من يقف مناوئا للآخر، ورده، ودافع عن نفسه، واستبسل، وفي ذلك بذل للجهد من أجل إثبات الذات ضد كل من يريد طمسها ومحاولة ثنيها عن بلوغ مرادها، وقد وظف المصطلح بقوة في كل ما يتعلق بالحركات التحررية ضد الاستعمار، وخاصة ما تعرضت له البلاد العربية من ظلم وتعسف وقهر، وفيه إشارة واضحة للوقوف ضد كل من يقف مناوئا للآخر، ورده، ودافع عن نفسه، واستبسل، وفي ذلك بذل للجهد من أجل إثبات الذات ضد كل من يريد طمسها ومحاولة ثنيها عن بلوغ مرادها، وقد وظف المصطلح بقوة في كل ما يتعلق بالحركات التحررية ضد الاستعمار، وخاصة ما تعرضت له البلاد العربية من ظلم وتعسف وقهر، وفي الأدب الجزائري فصول هامة من الشعر والنثر التي عبر عنها الأدباء والشعراء عن مقاومتهم للاستعمار الفرنسي الغاشم، وأدب المقاومة شكل هام من أشكال صياغة مشروع الأمة؛ أيّ أمة في إثبات حضورها ومقارعتها للأعداء، "**والأدب في الأمة العربية كان وما يزال من أبرز عناصر قوة مقاومتها للاستعمار، والأدباء كانوا وما يزالون من أخلص الجنود لأوطانهم في معارك التحرير والانعتاق**"[2].

ثم إن أدب المقاومة هو أدب يحفز الشعوب على تجاوز كل المعوقات مهما كان نوعها ومصدرها، فالحرية في ذلك لا تقدر بثمن، وأدب المقاومة عموما ينطلق من التعبير "**عن الثوابت الوجودية الأساسية التي لا يمكن للحياة أن تسير من دونها، وتأتي الأرض والشعب والوطن عموما في طليعتها، وإذا كانت هذه المسائل تتعرض للاهتزاز وتنال من الإنسان في صميم وجوده وحياته، فمن نافل القول إنه يحاول التشبث بها ورفعها إلى مستوى القضايا المصيرية**"، **وهو الذي**

[1] بطرس البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ط9، 15 آب 1960، ص663

[2] مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكرياء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، عدد 17، محرم 1434هـ- ديسمبر 2017م، ص19.

يعطي له الحق في أن يختط لنفسه مسارا كفاحيا لتملك هذه الثوابت التي من دونها لا يلوي على شيء".[1]

وعليه فإن أدب المقاومة هو المؤشر على مدى وعي الشعوب بضرورة تقرير مصيرها، ولذلك نجد الأدب الجزائري مثلا نموذج من نماذج المقامة في الآداب الإنسانية عربية وغير عربية، وكثيرا ما كانت القصائد والخطب والمسرحيات والقصص والروايات عوامل مثيرة ومحفزة لفسح الطريق للمقاومة المسلحة التي تحرر الأوطان وتنعش الآمال في معانقة الحرية، ونحن إذا تناولنا الأدب الجزائري فإننا نقرأ فيه المقاومة في أوضح مظاهرها، فقد كان "دافعا لها إلى الأمام، هاديا لها لتصل إلى نتيجتها الحتمية، وهي الثورة".[2]

ولنا في شعر مفدي زكرياء، ولمحمد العيد آل خليفة، والشيخ أحمد سحنون وغير هؤلاء من الشعراء خير مثال على أدب مقاوم، كما أن الأدب الفلسطيني وما يحمله من مقومات التحرير نموذج أيضا للمقاومة الباسلة في تاريخ الجهاد الفلسطيني الذي لا يزال مستمرا ومجسدا لحقيقة المقاومة والصبر على جميع ظروفها القاسية، ويظل شعر محمود درويش، وعز الدين المناصرة، وسميح القاسم، وتميم البرغوثي مثالا واضحا للمقاومة الباسلة ضد الاحتلال الصهيوني الغاشم.

الاغتراب لغة واصطلاحا

لقد شغل مصطلح الاغتراب بيان ماهية الاغتراب لغة واصطلاحاً من خلال تعريفات المفكّرين والمنظّرين.

1- الاغتراب لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور "الغَرْب والغرب": النّزوح عن الوطن، والتغريب: هو النفي عن الوطن، وغرب: أي بعد، ويقال: أُغرب عني، أي تباعد، واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوّج إلى غير أقربائه، وأغرب الرجل: صار غريبا، ورجل غريب ليس من القوم، والغريب الغامض من الكلام، والمستغرب: الذي جاوز القدر في الخبث، وأغرب الرجل إذا ضحك حتى تبدو غروب

[1] سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، ص107

[2] مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكرياء، ص**20**.

أسنانه، وفي الحديث: عن فيكم مغربين، قيل: وما مغربون؟ قال: الذين يشترك فيهم الجن، سموا مغربين لأنه فيهم عرق غريب، أو جاؤوا من نسب بعيد[1].

وجاء في (معجم مقاييس اللّغة) " لابن فارس" على نحو: الغربة: البعد عن الوطن، يقال غربت الدار، ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنّه بعدها عن وجه الأرض، وشأو مغرب: أي بعيد، قال:

أَعْهَدُكَ مِنْ أَوَّلَى الشَّبِيبَةِ تَطْلُبُ عَلَى دَبْرِهِ يَهْتَفُ شَأْوُ مَغْرِبِ

ويقولون: «هل من مغربة خبر» يريدون خبر أتى من بعيد.[2]

أما في (معجم العين) "للخليل بن أحمد الفراهيدي": الغربة: الاغتراب من الوطن، غَرُبَ فلان عنا يَغْرُبُ غَرْباً، أي تنحّى، وأَغْرَبته غُرْبته، أي نحيته، والغربة: النَّوى البعيد، يقال: شفت بهم غربة النوى، وأغرب القوم: انتووا، وغاية مغربة أي بعيدة الشَّأْو.[3]

2- الاغتراب اصطلاحا:

الاغتراب باعتباره من المواضيع المهمّة التي عبّر عنها القرآن الكريم، وذلك من خلال قصّة سيّدنا آدم عليه السّلام التي تظهر معاني عميقة حين أمر الله آدم وحوّاء بالسَّكن في الجنّة، والاستمتاع بها باستثناء شجرة معيّنة، لكنّ الشّيطان أغواهما مخالفين أمر الله، وبذلك فإنّ قصّة خروج سيّدنا آدم من الجنّة وهبوطه إلى الأرض تعتبر أوّل اغتراب تجذّر في البشرية جمعاء، فـ: "الاغتراب أصل في الإنسان منذ نزول أول بشريين« آدم وزوجته حوّاء» إلى الأرض حيث ابتعدا عن الجنّة الرفقة الأولى لهما تبعا للخطيئة الأولى التي ارتكبها الإنسان ...".[4]

ومن خلال ما سبق فالاغتراب مصطلح قديم ظهر مع ظهور الإنسان.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج 11، مادة (غرب)، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط4، 2008، ص 23-24.

[2] أحمد ابن فارس ابن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، تح: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، ج4 (دت)، ص421.

[3] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 271.

[4] ديدي زوليخة: الاغتراب، مجلة العلوم الانسانية الاجتماعية، ع 8، جامعة وادي سوف، الجزائر، جوان 2012، ص348.

والاغتراب كذلك "انحلال الرابطة بين الفرد والمجتمع، أي العجز المادي عن احتلال المكان الذّي ينبغي للمرء أن يحتلّه، وشعور بالتبعيّة أو بحسّ الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى، فيصبح المرء مرهونا له، بل مستلبا، وهذا ما يولّد شعورا داخليّا بفقدان الحريّة والإحباط".[1]

وكذلك يعرّف الاغتراب على أنّه "فقدان القيم والمثل الإنسانية، والخضوع لواقع اجتماعي يتحكّم فيه الإنسان ويستعبده، حينئذ يشعر الإنسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين وحتى عن ذاته."[2]

والاغتراب كذلك "يمثّل نزوحا من نوع آخر حتى لو كان يعيش الإنسان في الوطن، فهو يرفض أشياء يتحدّاها، ويختلف مع أكثر من أسلوب يسيطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصّمت، فإنه أحيانا أخرى لا يملك إلاّ أن يصرخ أو يبوح أو يئنّ.... مع إحساس ضاغط بأنّ العالم من حوله لا يحسّ به، ولا يصغي للصّراخ والبوح والأنين، وفي ضوء هذا يحسّ بالاختناق، وبعدم القدرة على ما يسمّيه الفلاسفة (بالتخارج) ويكون جهده هو التأنين بالأوجاع القديمة."[3]

المبحث الثاني: مفارقة اصطلاحية بين الغربة والاغتراب

من الصّعب التّفريق بين الغربة والاغتراب بسبب التّداخل في المعنى والتّشابه في اللّفظ، لذلك فالفرق بينهما يُدرك بتذوّق النّص من حيث الدّلالة الأبعاد الّتي يرمي إليها. فالاغتراب يشير إلى حالة تحوّل الكائن خارج ذاته أو تجاوزها، والاغتراب في العلاقات الإنسانية يعبّر عن حالة انفصال تؤثّر على الفرد، حيث يشعر بالغربة والبعد عن بعض الجوانب الاجتماعية في واقعه، يمكن أن يكون هذا الانفصال نتيجة فقدان الهويّة الشّخصيّة والانغماس في وجود زائف يحدّده الآخرون له، فالغربة الاغتراب ينزاحان إلى البعد "الغربة هي النّزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسيّة أو اقتصادية أو

[1] رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2015م، ص 22.

[2] إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب- التمرد قلق المستقبل-، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص 85.

[3] عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعراء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص 08-09.

اجتماعية أو ثقافية،"[1] إنّ ظاهرة الغربة تشير إلى البعد عن الوطن، كما ترتبط غالبا بالمشاعر السّلبية التي تراود الفرد حين يضطرّ للنزوح والانفصال عن مجتمعه والابتعاد عن موطنه أو بعبارة أخرى هي "انتقال المرء من مكان إقامته بين أهله وجيرانه وأصدقاءه وذكرياته وموطنه إلى موطن آخر يعيد فيه ترتيب أوضاعه فيُكوّن صداقات جديدة وموطنا جديداً."[2]

الغربة والاغتراب كلمتين تتفقان من حيث الدّلالة المعجميّة والاصطلاحية وتلتقيان في الاشتقاق اللّغوي "فجاء في المعجم الأدبي أنّ الغربة تعني عاطفة تستولي على المرء."[3]

يُعدّ الاستلاب مرادفا لكلمة الغربة وهذا ما جاء به «جميل صليبة» في (معجمه الفلسفي) حيث يقول "الغربة مرادف للغيبة، لأنّ غيبة الشّيء غُرُوبَه، ومنه قولهم غاب الشّيء في الشّيء، أي تَوارى فيه، أو مرادفة أيضا للاستلاب لأنّ غربة النّفس استلاب حرّيتها."[4]

عندما يغترب الإنسان يمكن أن يفقد حرّيته واستقلاله بتأثير عدّة أسباب (اقتصاديّة، اجتماعيّة، دينيّة...)"أي أنّ الغربة أو الاغتراب حالة نفسيّة انفصاميّة داخليّة ناتجة عن أسباب خارجيّة، على الرّغم من أنّ الحالة النفسيّة أصل والأسباب فرع."[5]

المبحث الثالث: الاغتراب عند الغرب والعرب

1- الاغتراب عند الغرب:

يحمل مصطلح الاغتراب معان متعدّدة يشير إلى حالة الانفصال بين الذّات وشيء آخر، وقد أولى الدّارسون أهميّة كبيرة لهذا المصطلح نظرا لتداخله في شتّى المجالات، وقد أخذ حظّا من الدّراسة من قبل الفلاسفة اليونان، ومن أبرز الفلاسفة الألمان «هيغل » أوّل من تعمّق بشرح هذا المصطلح، ووظّفه توظيفا فلسفيّا مميّزا، حيث اعتبر أنّ الاغتراب هو "أن يغرب الإنسان نفسه عن طبيعته

[1] رافد سالم سرحان شهاب: أثر الغربة والاغتراب في الشعر الجواهري، مجلة التقني، المجلد 26، العدد6، 2019م، ص 113.

[2] فاطمة جهشيدي: ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليه إضاءات نقدية، السنة السابعة، ع 27، 2017م، ص73.

[3] يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008م، ص 17.

[4] جميل صليبة: المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان (دط)، 1982م، ص 765.

[5] حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول + الثاني، 2011م، ص 25.

الجوهريّة ليصل إلى حدّ التطرّف في التّنافر مع ذاته وقهرها، بمعنى آخر يضيّع الإنسان شخصيّته الأولى."[1]

وعليه فأوّل مظهر اغترابي هو اغتراب الإنسان عن نفسه وعن شخصيّته وعن طبيعته الجوهريّة. والاغتراب عند «هيغل» كذلك هو "حالة اللاّقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتوجاته وممتلكاته، فتوظَّف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتّأثير في مجرى الأحداث التّاريخية بما فيها تلك التي تهمّه وتسهم في تحقيق ذاته وطموحاته".[2]

كما يُعَرّف «أفلاطون» الاغتراب بقوله: "هو الذّي اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه ودعا إلى إقامة جمهوريّة فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقّق العدل، فكان يقصد بالاغتراب ابتعاد الإنسان عن عالم المثل وعيشه في عالم أرضي طارئ بدون ارادته".[3]

أفلاطون في نظريّته المعروفة (بنظرية المثل) اعتبر الإنسان مغتربا في هذا العالم الحسّي وأنّ كل شيء مزيّف، ولابد من العودة إلى عالم المثل، فالاغتراب بالنسبة له هو الابتعاد عن العالم المثالي (عالم الحقيقة المطلقة).

كما ركّز «ماركس» على العلاقات وأعطى الاغتراب صورا عديدة "فالاغتراب السّياسي يصبح الفرد فيه تأثير السّلطة الطّاغية مجرّد وسيلة ولعبة بقوة خارجة عنه، أمّا الاجتماعي ففيه ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات وتخضع الأغلبية للأقليّة ... والاقتصادي هو عند «ماركس» الاغتراب الأساسي ولا علاج له إلاّ بتملّك الدّولة لهذه الوسائل، ودفع الإنتاج دفعة قويّة."[4]

---

[1] حسين جمعة، الاغتراب في حياة المعري وأدبه، ص24

[2] حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص37.

[3] فريد امعضتو: الاغتراب في الشعر الاسلامي المعاصر، (دن). (دب)، ط1، 1436هـ، 2015م، ص 13.

[4] ذياب قديد: المتنبي بين الاغتراب الثورة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص 14-16.

كما ضمن «روسو» مَعْنيين للاغتراب إيجابي وسلبي، فأمّا المعنى الإيجابي ورد في كتابه (العقد الاجتماعي)، حيث يضحّي الإنسان بذاته لصالح الجماعة المنتمي إليها، أمّا في (كتاباته النّقديّة لحضارة المجتمع الحديث) "فقد أورد المعنى السلبي للمجتمع حيث سلبت حضارة الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسّسات الاجتماعية والنّماذج السّلوكيّة."[1]

فلفظ الاغتراب يتمثّل في ضياع الإنسان في المجتمع وانفصاله عن ذاته.

استخدم «روسو» المصطلح الايجابي وعنى به: التّخلّي والتّسليم عن الحقّ الطّبيعي لصالح المجتمع السّياسي، فهو يخدم المجتمع والمؤسّسات الدّوليّة، أمّا السّلبي والذي حصره في سياق التّبعيّة التي تحصل جرّاء التّقدّم الحضاري الذّي أفقد الفرد توازنه وسط مجتمعه.

أمّا «فرويد» فيرى أنّ الاغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم إشباع غرائزه دون تأجيل "فالسّعادة هي مشكلة الادخار الجنسي للفرد، وكل قرار متطرّف يحمل عقوبة، لأنّه يستدعي الجري وراء موضوع أخطر وعدم الاكتفاء بالنسبة إلى تقنية المعيشة المطرودة."[2]

ومن خلال تتبّعنا لمفهوم الاغتراب في الفكر الغربي نجده ظاهرة لصيقة بالوجود والتفاعل الإنساني، وملازم له عبر مرّ العصور.

2- الاغتراب عند العرب:

عَرَفَ الشّاعر العربي الاغتراب كأثر نفسّي لمفارقة الأهل الأوطان منذ القدم، قد مثّلها في شعره بحيث عبّر عنها من خلال نصوصه الشّعريّة، "فحالة الاغتراب هذه ظاهرة جامعة لمختلف الأحاسيس التي يمكن أن تستولي على الإنسان لأنّها تختزل جميع حالات الإخفاق في إدراك الأرض، الحبيبة، الأمن، العافية، الاستقرار، الوطن، ممّا وَلَّدَ شعرا يذوب أسّى، وحسرة مشحونا بفائض من الألم والحرقة التي تركت ظلالها إلى اللّغة، والصّور، والإيقاع."[3]

---

[1] حسن الحماد: الانسان المغترب عند ايريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر 2005، ص 73.

[2] قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر العاشر، العدد الأول، وزارة الاعلام، الكويت، 1979م، ص18.

[3] سعد مردف: الاغتراب وتداعياته في القصيدة العربية، مجلة الخطاب والتواصل، المجلد الثاني، العدد 9-ديسمبر 2022، ص96.

ونلاحظ أنّ ملامح هذا الشّعور قد لازمت الشّاعر الجاهلي من خلال الانفعالات والأحاسيس المبثوثة في ثنايا تلك القصائد.

فالبواكير الأولى للاغتراب منذ العصر الجاهلي ظهرت ملامحه في قصائد جاءت في شكل حنين للأوطان والبكاء على الطلل والخروج عن قواعد قبائلهم.

فامرؤ القيس حين توجّه إلى بلاد الرّوم وكان يحنّ إلى الأهل والوطن، وكان كلما وصل إلى مدينة أو تخطّاها يحنّ ويتقطّع كبده حسرة على فراقها، يقول وهو في طريقه إلى بلاد الروم [1]:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيمَى بَطْنٌ قَوٍ فَعَرْعَرَا
كُنَانِيَةٌ بَانَتْ وفِي الصَّدْرِ وُدُّهَا مُجَاوِرَةٌ غَسَّانَ والْحَيِّ يَعْمُرَا
تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ قَدْ أَتَتْ عَلَى خَمْلِي خُوصِ الرِّكَابِ أُوجِرَا

وفي مطالع قصائد الجاهليّة كانت أغلبها حديثا عن الأوطان إحساسا بالغربة بعد الأنس والحنين إلى ديار أحبابه الرّاحلين الذّين هم بالنّسبة له كأبناء الوطن بالنّسبة للمعاصر[2].

حيث يقول حين رأى امرأة تدفن إلى سفح عسيب، وهذا بعد عودته وخيبته من بلاد الروم: [3]

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَنُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَصِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنَّا غُرْبَانٌ هَهُنَا كُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

أمّا عنترة بن شداد والذّي عانى من أبيه وعمته لما تنكّرا له، قاسى الأمرّين من لونه عبوديّته حيث يقول:[4]

المَالُ مَالُكُمُ، الْعَبْدُ عَبْدُكُمُ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي مَصْرُوفُ
تَنْسَى بَلَائِي إِذَا مَا غَارَةٌ لَقَحَتْ تَخْرُجُ مِنْهَا الطوالات السُّرَاعِيفُ

وجاءت معاني الغربة في قصائده ومنها التّي مطلعها: [5]

---

[1] يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوى، عمان، ط1، 2008، ص 31.

[2] عبد الرزاق الخشوم: الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)، 1982م، ص 15.

[3] ديوان إمرؤ القيس: تح: مصطفى عبد الثاني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص 49.

[4] ديوان عنترة: تحقيق دراسة: سعيد المولدى، المكتب الاسلامي، (دط)، 1964م، ص 37.

[5] ديوان عنترة: تحقيق، خليل الخوري، مجلس معارف للنشر والتوزيع، ط4، بيروت، 1893م، ص 18.

أَعَاتِـــبُ دَهْـــرًا لَا يَلِـــينُ لِعَتَـــابِ وَأَطْلُـــبُ أَمْنًـــا مِـــن صُـــرُوفِ النَّوَائِـــبِ
وَتُوَعِـــــدُنِي الأَيَّامُ وَعْـــــدًا تَغْـــــرِيبِي أَعْلَـــمُ حَقًّـــا أَنَّـــهُ وَعْـــدٌ كَـــاذِبُ

فالاغتراب غالبا عند عنترة كان سببه لون بشرته كونه ابن حبشيّة، بالرّغم من دوره البارز في الحروب.

وعن شعر الصّعاليك في العصر الجاهلي كانوا هم أكثر اغترابا، جرّاء النبذ والفقر "فكانوا الصّعاليك نتاجا لخروجهم عن أعراف القبيلة وتقاليدها وتسلّطها، وكان كثيراً منهم يعاني من الخلع والطرد بسبب جناياتهم، وخروجهم عن النظام القبلي، ومنهم من كان يعيش الغربة داخل قبيلته ورضى بالعبوديّة، حرصا على أهله وبناته من الذّلّ والفقر إذا هجر القبيلة وتحرّر من ظلمها."[1]

فالصّعاليك عاشوا حياة خوف وفزع ووحشة واغتراب، حُرموا من الأُلفة والأمن، فلا أهل لهم ولا ونيس، وقد قال: «عبيد بن أيّوب العنبري» عن غربته وتعويض وحوش البرّ عن الأهل والديّار: [2]

دَقَّـــنِي طَعْـــمَ الأَمْـــنِ أَوْ سَـــلْ حَقِيقَـــةً عَلَيْـــا فَـــإِنْ قَامَـــتْ ففَصْـــلٌ بَنَانِيَـــا
تَرَامَـــى بِـــهِ الْبِيَـــدُ الْقِفَـــارُ تَرَامِيًـــا خَلَعَـــتْ فُـــؤَادِي فَاسْـــتِيطَرَ فَأَصْـــبَحْتُ
كَـــأَنِّي آجَـــالُ الضَّـــبَاءِ بِقَفْـــزَةٍ لَنَـــا نَسَـــبٌ تَرْعَـــاهُ أَصْـــبَحَ دَانِيًـــا

وبالرّغم من ذلك فهو يحنّ إلى الأهل والدّيار والوطن.

وفي صدر الإسلام نلاحظ أنّ الاغتراب زاد حدّة، وهذا لما جاء سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودخلت فئة من النّاس إلى الإسلام وخالفوا ما كان عليه قومهم وكفروا بمعتقداتهم، حيث ذاقوا ألوان العذاب، فأصبحوا غرباء بين أهلهم وعشيرتهم، ووصف الرّسول صلى الله عليه وسلم هذه الفئة بقوله: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا، كما بدأ، فطوبى للغرباء، وقيل: ومن الغرباء يا رسول الله قال: الذّين يصلحون إذا فسد النّاس."[3]

---

[1] يحي الجبوري: الحنين والربة في الشعر العربي، ص 40.

[2] نفسه، ص 41.

[3] مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)،(دت)، باب كتاب الامام، باب بيان الاسلام، بدأ غريبا سيعود غربا، ص 146.

فهنا الاغتراب في الحديث يتمثّل في الغرباء، هم أصحاب أتباع الرّسول صلى الله عليه وسلم فهم أهل البرّ والصّلاح، خالفوا قومهم فصاروا غرباء بين أهلهم، وقد جاء بمعنى إيجابي.

فالاغتراب الإسلامي هو اغتراب عما حرّمه الله من فساد وفسق ورذيلة.

أمّا عند الصّوفيّة فيقول الشّاعر المتصوّف «أبو عبد الله بن أسد المحاسبي»:[1]

أَنَا فِي الْغُرْبَـــــــــةِ أَبْكِـــــــــي مَـــــا بَكَـــــتْ عَـــــيْنُ غَرِيـــــبٍ

لَمْ أَكُـــــــنْ يَـــــوْمَ خُرُوجِـــــي مِـــــنْ بِـــــلَادِي بِمُصِـــــيبٍ

عَجَبًـــــــــا لِي لِتَـــــــــرْكِي وَطَنًـــــــا فِيـــــــهِ حَبِيـــــــبِي

فهو يحنّ إلى أحبابه وأهله وأوطانه بعواطف مثيرة، وأشواق للعودة إلى الأحبّة والوطن الحبيبة.

ولم يتوقّف الاغتراب عن الشّعر العربي القديم، بل أخذ طريقه في الاستمرار، فقد تجرّع ألمه أيضا الشّاعر المحدث، وبناء على ما سبق فإنّنا سنحاول تقصّي هذه الظّاهرة عند الشّعراء الحداثيين بتقديم نماذج شعريّة تبيّن نواة الاغتراب عندهم.

3- الاغتراب في الشعر الرومانسي:

يعتبر الشّعر الرّومانسي أكثر أنواع الشّعر الّتي عرفت انتشارا في العصر الحديث والّتي لها علاقة بظاهرة الاغتراب، فعدم انسجام الشّاعر الرّومانسي مع واقعه حطّم نفسيّته "فلم يكن الرّومانتيكي عادة بالمرح ولا بالمتفائل، وإنّما كان فريسة ألم مريرة بسبب الجفوة بينه وبين مجتمع لا يقدّر ما فيه من نبل الإحساس.

ونتيجة انهيار آماله الواسعة، وتعذّر ضفره بالمثال المنشود، ولذا كان الحزن طابع الرّومانتيكيين، وهو حزن يدلّ على عزلتهم الرّوحيّة ونفورهم من أدواء المجتمع"[2]، وعليه نلمح ظهور حركات شعريّة رومانسيّة متمثّلة في المدارس الأدبيّة نتجت عن معاناة الشّاعر الرّومانسي في إنتاجه الشّعري، ومن أهم المدارس الّتي تجلّت فيها ظاهرة الاغتراب ما يلي:

[1] يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 141.

[2] محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ت، ص 50.

❖ **الاغتراب عند شعراء مدرسة المهجر**: تجسّدت ظاهرة الاغتراب في الشّعر المهجري بمختلف أشكالها، حيث "كانت الهجرة فرارا من واقع أليم جثم على صدر الأحرار، والتماسا لواقع جديد يتنفّسون فيه الحريّة ويجسّدون أحلامهم التي وئدت في غياهب الجوّ والطغيان السّياسي".[1]

❖ **الاغتراب عند شعراء مدرسة الدّيوان**: مَثَّل هذه المدرسة: «عبّاس محمود العقّاد، عبد الرحّمن شكري، إبراهيم عبد القادر، المازني»، حيث يُعْتَبَر عباس محمود العقاد أكثر عرضة للاغتراب من بين هؤلاء لإصابته بالعمى، والذّي سبّب له اضطراب واغتراب نفسي، وهذا ما عبّر عنه في أبيات من قصيدته «الشّاعر الأعمى» :" وهي تدور حول شكوى شاعر أصيب بالعمى وحرم من رؤية مجال البهجة والإشراق من حوله، فانطوى على نفسه يجسّد آلام الحرمان"[2] يقول:

شَكَا الشَّاعِرُ البَاكِي عَمًى قَدْ أَصَابَتْهُ وَأَظْلَمُ مَا نَالَ الْعَمَى جَفْنَ شَاعِرِ

يَنُوحُ بِعَيْنٍ لَمْ يَذْعَ عِندَهَا الْبَلَى سِوَى نَبْحِ حُزْنٍ نَاضِبِ الْمَاءِ غَائِرِ

من خلال قول «العقّاد» فإنّ العمى الذي أصيب به كان العامل الأوّل والأساسي والذي جعله يدور في دوّامة الاغتراب النّفسي، فنجد استخدامه المتعدّد للأفعال (شكا، أصابه، أظلم، ينوح.....) يدلّ على معاناته المستمرّة.

فالاغتراب يعدّ موضوعا مؤثّرا في شعراء مدرسة الدّيوان، حيث يتجلّى هذا الشّعور في قصائدهم فيلجؤون إلى الشّعر كوسيلة للتّعبير عن مشاعرهم وتجاربهم بسبب الوّحشة الغربة الّتي يشعرون بها، نتيجة لعدّة أسباب يظلّ شعراء مدرسة الدّيوان محطّا للتّأمّل في معاناة الإنسان وتجاربه المتنوّعة.

[1] صابر عبد الدايم، أدب المهجر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، دار المعارف، القاهرة،ط1، 1993، ص 13.

[2] إبراهيم عوض: فن الشعر الحديث، تحليل تذوق، المنار للطباعة، القاهرة، د ط، 2006م، ص 74.

الفصل الثاني:

أنماط الاغتراب والملامح الأسلوبية في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ

حاصرت ظاهرة الاغتراب الإنسان المعاصر في مختلف جوانب حياته الدّينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة وغيرها، إلاّ أنّه حاول تجاوزها منتصرا حينا ومنهزما حينا آخر، إلّا أنّ الإيمان بالقضيّة إيمانا راسخا يجعله يقاوم ولا يستسلم أبدا، وهو حال كثير من الشّعراء العرب المعاصرين.

ومن خلال دراسة النّصوص والإحاطة بمواقف عاشها الشّعراء وجد الباحثون أنّ اغترابهم لم يكن واحدا في تصنيفهم بل اتّخذ عدّة أنماط، فهناك الاغتراب الاجتماعي والسّياسي والنّفسي والمكاني...الخ.

المبحث الأول: أنماط الاغتراب في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ

1- الاغتراب الاجتماعي:

يعتبر الاغتراب الاجتماعي من الأنواع المتفشيّة في كثير من المجتمعات نظرا لعدم احترام القوانين الّتي تربط النّاس في علاقاتهم، وكذلك لرفض بعض التّقاليد الاجتماعيّة الصّارمة، والقمع والتّسلّط الذين فرضتهما المجتمعات حيث: "لا يتطابق النّسق الاجتماعي للمواقف والقيّم مع كليّة الطّبيعة الإنسانيّة والشّخصيّة الكليّة، فهناك سمات إنسانيّة وميول ونزعات وطرق في التّفكير والشّعور والتّقبّل والتّصرّف ليست متضمّنة في نمط الحياة المقبول على الصّعيد الاجتماعي."[1]

وقد عرفنا أنّ الشّعراء العرب المعاصرين لم يسلموا من هذه الظّاهرة، ومن هؤلاء الشّاعر ابن الشاطئ الذي نعرف أنّه عاش مغتربا عن بلده، حيث اتّخذ الجزائر موطنا له، ومنها أرسل شعره مساهما في التّعريف بقضيتّه والدّفاع عنها من جهة، ومنفّسا عن غربته من جهة أخرى، وهو وجه من وجوه المقاومة حين يحلم بتطهير وطنه من الطحالب والذئاب، ومن ذلك قوله:

يـــــــــا أُمَّ أَوفَى .. إِنَّـــــــــنِي ... أَمْتَـــــــدُّ فِي مُقَـــــــلِ الهِضَـــــــابِ
وَعَلَـــــى مَـــــداخِلِ أَصْغُرَيـــــ... ... ـــــكِ أغُـــــبُّ أَنْهَـــــارَ العِتَـــــابِ
أَنَا فِي انْتِظَـــــارِ جَوَابِـــــكِ الـــــ... ... غَـــــالِي يُرَمِّـــــدُ كُـــــلَّ مَـــــا بِي
يَقْـــتَصُّ مِـــنْ وَجَـــعِ الحُـــرُو... ... فِ وَيَصْـــطَفِي لُغَـــةَ الحِـــرَابِ
وَيُطَهِّـــرُ الـــوَطَنَ الكَبِيـــــ... ... ...ر مِـــنَ الطَّحَالِـــبِ وَالـــذِّئَابِ
إِنِّي أَنَا الـــــزَّمَنُ الفِلَسْـــــــ... ... ـــــطِينِيُّ أَفْـــــتَحُ أَلْـــــفَ بَابِ
وَعَلَـــى جَرَاحِـــي مِـــنْ دَمِـــي الـــ... ... مَحْـــــرُوقِ فَاتِحَـــــةُ الكِتَـــــابِ
أَمَلِـــــي كَبِـــــيرٌ أَنْ تَـــــوَا... ... فِيـــــنِي قَرِيبًـــــا بِالجَـــــوَابِ[2]

إذا كانت الأسرة كيانا اجتماعيّا هامّا في حياة الإنسان عموما، فإنّ دورها في حياة الشّاعر أمر خطير، فالبعد عنها أو عدم التّجاوب مع مقوّماتها كلّها عوامل تشعر الشّاعر باغترابه، هو شأن ابن

[1] والترفيسكوف: الاغتراب الوجودي، تر: كامل يوسف حسن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ط، د ت. ص 23.

[2] إسماعيل إبراهيم شتات (ابن الشاطئ)، أبجدية المنفى والبندقية، رابطة الإبداع الثقافية، ط01، الجزائر، 2004. ص47.

الشاطئ الّذي يُقاوم غربته بعيدا عن أسرته عموما وعن زوجته خصوصا، فهو ينتظر جوابها الّذي يعتبره عاملا قويّا يجعله يؤكّد أمل تطهير وطنه المحتلّ من الاستعمار الصّهيوني الّذي رمز اليه بالطّحالب الذّئاب، لأنّ هذين الكائنين مصدر من مصادر الإزعاج الّذي يعرقل المسارات الطّبيعيّة الهادئة والهدوء النّفسي الّذي يبعث الرّاحة والأمل، وهو بكل جراحه غربة اغترابا ينتظر جوابا من أم أوفى يكون أملا ودافعا في مسار مقاومته للاستعمار الصّهيوني.

فابن الشّاطئ عبّر عمّا يختلج في صدره من عواطف مشحونة بمرارة الاغتراب القسري عن الوطن أرضا وإنسانا، ومكتوبة بنار الحسرة على الأمّة هوانها وتخاذل شعوبها أمام العدوّ أو للتّعبير عمّا يحسّه إزاء أمّته العربيّة "أمّ أوفى" الّتي يعتبرها بيتا ومسكنا له، ونراه بما يمتلك من أمل لا يزال يقاوم غير مستسلم، كما في قوله[1]:

يَا أُمَّ أُوفَى .. يَا هَوَايَ الصَّعْبِ .. يَا شَرَفِي وَدِينِي

مَازِلْـــــتُ بَارِقَـــــةَ الضُّـــــحَى وحِجَـــــارَتِي نفَـــــسُ الكَمِـــــينِ

فَتَهَـــــاطَلِي مَطَـــــرًا هِـــــلَا... ...لِيَّـــا عَلَـــى تِلْـــكَ الغُصُـــونِ ..!!

2- الاغتراب السّياسي:

لا يخفى أنّ للشّعر مهمّة جليلة، فالشّاعر صاحب رسالة مهمّة في حياة الجماعة، ومن هذا المنطلق كان للشّعراء الرّواد دورهم في خدمة مجتمعهم من خلال دورهم السّياسي دفاعا عن حقوق الوطن والأمّة، وهم وإن اختلفت وسائلهم وتباينت وجهات نظرهم حول المنهج والأداء، إلاّ أنّ عملهم السّياسي تجوهر في خدمة مصلحة الجماعة."[2]

ويقصد بالاغتراب السّياسي: "شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السّياسيّة المعبّرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشّعور بالعزلة عند المشاركة الحقيقيّة الفعّالة في

[1] اسماعيل ابراهيم شتات، أبجدية المنفى والبندقية، ص 106.

[2] محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع الاردن. عمان. ص 69.

وضع القرارات المصيريّة المتعلّقة بمصالحه، واليأس من المستقبل، على اعتبار أنّ رأيه لا يسمعه أحد وإن سمعه لا يهتم به ولا يُأخذ به."[1]

فنلاحظ أنّ الدّوافع الّتي تقف وراء الاغتراب السّياسي هي نفسها التي خلقت الإحساس بالاغتراب الاجتماعي.

ولعلّ الشّاعر ابن الشّاطئ اكتوى بالاغتراب السّياسي، فهو لم ينج من الاستدمار الصّهيوني الّذي أتى على بلده من جهة، حيث تعرّض لفساد سياسة الحكّام العرب في فلسطين وفي كثير من الشّعوب العربيّة من جهة أخرى، فرفضه لهذه السياسات مقاومة حاول من خلالها فضحها وفي ذلك يقول:[2]

مَـــنْ تُـــرَى نَحْـــنُ فِي عُيُـــونِ الزِّحَـــامِ أَعَـــذَارَى نُحِـــبُ رِيَـــشَ النَّعَـــامِ ..!!
أَمْ لِسَـــانُ الحُكَّـــامِ يَحْـــتَرِفُ الـــزُّو... ر يُغَطِّـــي جَـــرَائِمَ الحُكَّـــامِ ..؟؟
يَـــزْرَعُ العُمْـــرَ فِي مَـــزَارِعِ قَابِيـــ... لَ ويَبْكِـــي عَلَـــى ضُـــلُوعِ السَّـــلَامِ ..؟؟
مَـــنْ تُـــرَى نَحْـــنُ الطَّحَالِـــبُ تَنْمُـــو فِي خَـــلَايَا الأَوْجَـــاعِ الأَسْـــقَامِ ..؟؟
فَـــالْحُرُوفُ الحَمْـــرَاءُ فِي أَنْهُـــرِ الشَّـــوْ... قِ سَـــــرَايَا مَوْصُـــــولَةُ الأَقْـــــدَامِ

ينتقد ابن الشّاطئ سياسة الحكّام العرب الّذين يحترفون سياسة الظّلم بشتى أنواعه منه الزّور، الّذي يراه عائقا يحول بين التّجاوب الّذي يجب أن يكون بين الحاكم والمحكوم، فهم يبادلون الصّهيونية السّلام الّذي به يقتلون الفلسطينيين بذريعة معاهدة السّلام الّتي لم تقدم للفلسطينيين غير الدّمار والتّقتيل والتّهجير، وما يحدث في غزّة في وقتنا الرّاهن خير دليل على أنّ السّلام مع الإسرائيليين لا يقدّم أيّ أمل في تحرير فلسطين، وما توظيف رمز (قابيل) إلاّ دليل على ما يفعله المستعمر الصّهيوني البغيض، وفي رمز آخر (بالطّحالب) الّتي تشوّش مظاهر الحياة الجميلة.

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب. دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة. 2003. ص97.
[2] ابن الشاطئ. أبجدية المنفى والبندقية، ص 19.

ويؤكّد أنّ هذا الاغتراب السّياسي لن يعيقه عن مواصلة مسار المقاومة، فهو ينتقد سياسة التّطبيع، وهي الصّفقة التي لم تورث العرب إلاّ الذّلّ والهوان في قوله [1]:

يَا أُمَّ أُوفَى مَـــتَى تَصْـــحُو قَبَائِلُنَـــا ... وكَيْـفَ يُمْكِـنُ أَنْ نَصْـفُو ونَتَّفِقَـا ..؟؟
أَمَـــا تَنَـــاهَى إِلَى أَسْمَاعِهَـــا حَجَـــرٌ ... مُتَـيَّمٌ يَتَحَـدَّى القَمْـعَ والغَسَـقَا ..؟؟
عَفْـوًا ..!! نَسِـيتُ .. فعُـذْرًا يَا مُعَلِّمَـتِي ... الكُـلُّ فِي (شَـرَفِ التَّطْبِيـعِ) قَـدْ غَرِقَـا
لَمْ يَبْـقَ غَـيْرُ دَمِـي الْمَحْـرُوقِ مُمْتَشِـقًا ... سَـيْفَ العَرُوبَـةِ إِيمَـانًا ومُعْتَنِقًـا ..!!

وفي قوله[2]:

أَسْـأَلُ النَّـاسَ عَـنْ مَزَالِـقِ هابِيـل ... وعَـنْ كُـلِّ هَفْـوَةٍ وانْقِسَـام
أَهُـوَ القَمْـعُ يَجْعَـلُ الحَـرْفَ أُنثَـى ... تَتَعَـرَّى عَلَـى شِـفَاهِ الـمُدَامِ ..؟!
أَمْ هُـوَ الخُبْـزُ يَسْـتَفِزُّ المَنَـايَا ... فِي حِمَـى الجُـوعِ اسْـوَدَادِ الظَّـلاَمِ ..؟؟
أَمْ تُـرَى نَحْـنُ .. نَسْـكُنُ الضِّـدَّ دَوْمًـا ... ونَشُـدُّ الأَنَا خِيُـولَ المَـرَامِ

فالشّاعر ابن الشّاطئ هنا يتساءل عن الهويّة العربيّة وما آلت إليه هذه الأمّة من انقسام، وقد أشار إلى قصّة هابيل وحادثة قتله، فوظّفه كرمز لأوّل ضحيّة، وأوّل مقتول على الأرض في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)﴾ الآيات: 27-30، سورة المائدة، وكأنّ هذه الرّمزية (القتل، الغدر) متجدّدة في كل زمان ومكان، فقد تجدّدت في الأمّة العربيّة عامّة وفلسطين خاصّة ولما آلت إليه بسبب انقسام وتشتّت وتفرّق هذه الأمّة.

[1] اسماعيل ابراهيم شتات: ديوان أبجدية المنفى والبندقية، ص104.
[2] المصدر نفسه، ص19 - 20.

وقد وظّف ابن الشّاطئ أيضا شخصيتين منفصلتين في أكثر من قصيدة مخاطبا فلسطين دائما برمزيّة المرأة الأنثى بحيث يخبرها بأوجاعه وآماله في نفس الوقت، فهو يشير إلى رمزيّة قابيل القاتل وغدره لأخيه وقتله له، فقد أسقط هذه الرمزيّة على نفسه يخبرها بأنّه باقٍ على صموده ودفاعه عنها مهما كان حجم الخيانات المتجدّدة، ومهما استمر الاحتلال الصّهيوني في تنفيذ جرائمه البشعة على الشّعب الفلسطيني، فقابيل رمز القتل الجريمة، وبهذا تبدو مقاومته للعدو واضحة حين ينتقد الخيانات والتطبيعات المتكررة، والاستسلامات غير المبررة، وذلك بقوله [1]:

وَاحْلِـبِي الضَّـوءَ مِـنْ نَهْـدَيْكِ مُنْتَقِـدًا ... لَا أُبَالِـغُ فِي دَحْـضِ الأَبَاطِيـلِ ..!!
وَإِنْ تَلَفَّـتُ خَلْفِـي لَا تُـرَوِّعِنِي ... ثُقُـوبُ ظَهْـرِي .. وَلَا سِـكِّينُ قَابِيـلِ
أَتَعْـرِفِينَ لِمَـاذَا ..؟ كُـلُّ بَارِقَـةٍ ... مَهْمَـا بَـدَتْ تَتَلاَشَـى فِي التَّحَالِيـلِ
بِالأَمْـسِ كُنَّـا ذِرَاعَ النُّـورِ فَانْكَسَـرَتْ ... ذِرَاعُنَـا وَأَفْضَـنَا فِي التَّعَالِيـلِ

كما نجد أنّ الشّاعر ابن الشّاطئ قد استحضر بعض القصص الدّينيّة في شعره، ومنها قصّة أهل الكهف القصّة التّاريخيّة المذكورة في القرآن الكريم، ومن المعروف أنهم فتية فرّوا إلى الكهف هروبا بدينهم من قومهم، فجعلهم الله آية بأن أنامهم سنين ليبعثهم بعدها أحياء في زمن غير زمنهم ويوقظهم من نومهم لحكمة ربّانية، في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)﴾ سورة الكهف: 10 - 12، فهذه القصّة استقى منها الشّاعر رمزا وظّفها في شعره، حيث يقول [2]:

تَبْكِـي شَـوَاطِئُ حَيْفَـا يَا مُعَـذِّبَتِي ... الْقُـدْسُ تَسْـأَلُ أَهْـلَ الكَهْـفِ عَـنْ خَـبَرِ
وَيَسْـأَلُ الْمُتَنَـبِّي صَـهْوَتِي نَزِقًـا ... يَسْـتَفِزُّ مَـرَايَا الأَمْـسِ فِي صُـورِي
فَزَهْـرَةُ العُمْـرِ مَـا عَـادَتْ مُتَيِّمَـةً ... كَـالأَمْسِ .. لَمْ تَخْـتَرِقْ شَـوْقًا ولَمْ تَثُـرْ
قَـدْ رَوَّضَـتْهَا أَيَادِي اللَّيْـلِ فانْبَطَحَـتْ ... عَلَـى سَـرِيرِ الأَنَا حُبْلَـى مِـنَ البَطَـرِ

[1] ابن الشاطئ، ديوان أبجدية المنفى والبندقية، ص 107.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

فهو هنا قد استخدم رمز (أهل الكهف) للعرب النّيام، والقدس تسأل العرب: هل من أخبار؟ هل من محاولات لاسترداد كرامتهم التي ضاعت بضياع فلسطين؟ يسأل عن صمتهم وغفلتهم والتواني في الدفاع عن فلسطين، فابن الشّاطئ استخدم رمزية أهل الكهف الفتية الّذين حملوا راية الحقّ واتّبعوا دينهم وفرّوا به للنّجاة من الكافرين إلى رمزية السّكوت عن الحقّ والسّبات الّذي يخيّم على العرب المتخاذلين عن حماية ونصرة فلسطين، وما شعور الشاعر بهذا الوضع المزري إلا صورة من صور الرفض والمقاومة ومحاولة الخروج إلى حلول تنقد ما بقي من ماء وجه العرب والمسلمين.

فالقدس هي مدينة الأنبياء، والمقاومة، والانتفاضة الفلسطينية لن تخمد وستتواصل للمحافظة على السّير في خطى الرّسول صلى الله عليه وسلم الجهاد في سبيل الحقّ واستعادة الأرض المقدّسة.

3- الاغتراب النّفسي:

على الرّغم من شيوع الاغتراب النّفسي فإنّه من الصّعب تخصيص نوع مستقلّ نطلق عليه الاغتراب النّفسي، وذلك نظرا لتداخل الجانب النّفسي للاغتراب ارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى: الثّقافي، الاقتصادي، السّياسي... إلخ.[1]

فالاغتراب النّفسي مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات الّتي تتعرّض فيها وحدة الشّخصيّة للانشطار أو للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثّقافيّة والاجتماعيّة الّتي تكون داخل المجتمع، ممّا يعني أنّ الاغتراب يشير إلى النموّ المشوّه للشّخصيّة الإنسانيّة، حيث تفقد فيه الشّخصيّة مقوّمات الإحساس المتكامل بالوجود والدّيمومة، وقد أوضح "ايريك فروم" في كتابه "المجتمع السّوي" أنّ المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدّلالة على الشّخص "المجنون" والّذي تدل عليه الكلمة الفرنسيّة "Aliéné".[2]

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

وينظر الباحثون أمثال: "هيغل وماركس" إلى اغتراب الذّات باعتباره اضطرابا نفسيّا يتمثّل في اضطراب الشّخصيّة الفصاميّة، حيث يتهم الشّخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات اجتماعيّة والافتقار إلى مشاعر الدّفء واللّين أو الرّقّة مع الآخرين[1].

فالعوامل النّفسيّة هي من أهم العوامل المؤثّرة على الإنتاج الشّعري، فحالة الغربة الّتي عاشها الشّاعر ابن الشّاطئ داخل العالم الحديث المزيّف المقيّد دفعته إلى الهرب من هذا الواقع والارتماء في أحضان عالم آخر أكثر نضارة حينا وإلى عالم تعيس حينا آخر، وهذا ما يتجسد في قوله[2]:

أَنَا أُمُّ أُوفَى / الرَّمْـــــــــــــــــزُ يَا ... عُمُـــــــــرِي .. وأُمُّ الأَنْبِيَـــــــــاءِ
وَعَلَـــــى نَخِيـــــلِ الكِـــــبْرِيَاءِ أَنَا ... فِي الأَقْصَـــــــــى لِقَـــــــائِي ..!!
... أَغْلَقْـــــتُ خَطِّـــــي بَعْـــــدَهَا ... ويَـــــدِي تُسَـــــافِرُ فِي دَمَـــــائِي ..!!

وقد يُفهم أن الاغتراب النّفسي ما دلّ على انقطاع التّواصل بين الإنسان وغيره ممّا يجعل الحياة تعيسة، بينما يمكن أن يكون الاغتراب النّفسي مصدرا من مصادر الدّعوة إلى المقاومة والتّفاعل مع الحياة مقاومة ومعايشة، ومنه ما قال الشّاعر ابن الشّاطئ على لسان أمّ أوفى الّتي هي رمز لأرض فلسطين أرض الأنبياء. وهو رمز للأرض والنّخيل والكبرياء والأقصى والأمل بفعل المقاومة الّتي ستحرّر هذه الأرض المقدسّة من الغاصب الصّهيوني.

أَعِـــيشُ هَمِّـــي بَعِيـــدًا عَنْـــكَ مُحْتَرِقًـــا ... ومَـــنْ يُسَـــافِرُ قَسْـــرًا لَا يَـــرَى أُفُقًـــا
عَلَـــى حَرَائِـــقِ أَيَّامِـــي وَضَـــعَتْ يَـــدِي ... فَهَـــالَنِي الشَّـــوْقُ فاسْـــتَوْعَبْتُ مَـــا عَلُقَـــا
وَهِمْـــتُ فِي صَـــدْرِكَ المُنْسَـــولِ مِـــنْ رِئَـــتِي ... فمَـــا تَيَقَّظْـــتُ إِلَّا عِنْـــدَمَا وَثِقَـــا
وَرَاحَ يَسْـــحَبُ أَشْـــلَائِي ويَبْعَثُهَـــا ... فِي أَصْـــغَرَيْكَ فَضَـــاءً مُبْهَمًـــا .. قَلِقًـــا
يَغُـــوصُ فِي وَجَعِـــي المخـــزونِ مُتَّكِئًـــا ... عَلَـــى جِرَاحِـــكِ .. مَنْهُومًـــا ..ومُحْتَرِقًـــا
وَيَكْسِـــبُ المَطَـــرَ الـــوَرْدِيَّ آوِنَـــةً ... ويَسْـــتَفِزُّكَ فِي هَـــوْلِ الـــدُّجَى نَزَقًـــا ..!!
قَـــدْ كَـــانَ حَقًّـــا يَـــرَى مَـــا لَا نَـــرَاهُ .. وكَـــمْ ... أَحْنَى عَلَيْنَـــا .. وَكَـــمْ أَسْـــرَى .. وَكَـــمْ بَرِقَـــا[3]

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، مرجع سابق، ص 82.

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص102

ففكرة الاحتلال النّفسي موجودة دائما في جميع الحروب والنّزاعات، فالشّاعر فلسطيني عاش انكسارات نفسيّة بسياسة الإبعاد والتّرحيل أو التّطهير العرقي كعقاب له، يترك أثرا عميقا في نفسيّة المغترب وشوقا جنونيا للدّيار والوطن بوجع فظيع حيث ترسم ملامح جديدة للشّخصيّة فتجعل صلته بالحاضر والماضي والمستقبل مشوّشة، وقد ينجم عن ذلك انهيارات، وذلك لعدم الإحساس بالأمن والطمأنينة والانتماء، وهو ما توفره صراعات الهجرة والاغتراب القسري، والعجز عن التكيّف مع الوسط الاجتماعي فهو يشعر بالوحدة منعزلا عن العالم الخارجي. فنفسية الشّاعر هي المحرّك الأساس لإنتاج عمله والتّعبير عنه بأحاسيس صادقة عفوية[1].

4- الاغتراب المكاني:

المكان الّذي نعني به الوطن الذي يربط مشاعر الأهل ويحفزهم على الشّعور بالاعتزاز والفخر، وهناك من عانى من ظاهرة الاغتراب المكاني ونجد ذلك عند الشّعراء خاصّة من عاشوا علاقات مضطربة مع محيطهم أو عانوا قساوة الاستدمار، ومن الشّعراء ابن الشّاطئ الّذي فرضت عليه ظروف الحياة أن يتحمل مشاقّ الاغتراب وقد عبّر عن ذلك في عدّة نماذج ومن ذلك قوله:[2]

أَوْ مَـــا زِلْـــتِ تَسْـــأَلِينَ لِمَـــاذَا طَلَّـــقَ الحُـــزْنُ والأَنَا .. عُنْفُـــوانِي ..!!
قَـــدْ وَجَـــدْتُ السَّـــبِيلَ فِي أُمِّ أَوْفَى فتَجَـــذَّرْتُ فِي ضَـــمِيرِ المَكَـــانِ
وَتَشَـــمَّرَتُ .. وانْتَفَضَـــتُ .. ودَارَتْ دَوْرَةُ الشَّـــمْسِ فِي الثَّـــرَى الوَلَهَـــانِ
وَتَصَـــافَتْ كُـــلُّ القُلُـــوبِ .. وْأضَـــحَتْ ثَـــوْرَةُ المُسْـــتَحِيلِ عُمْـــرَ الزَّمَـــانِ ..!!

فهو يرمز إلى فلسطين بأمّ أوفى المكان الأزلي الّذي يتجذّر فيه منتفضا مشمّرا عن ساعد الجدّ، مشرقا مثل الشّمس، فهو وإن عبّر عن المكان الّذي يراه مقيّدا تسلّطت عليه قوى الاستدمار فإنّه يحمل أمل تحرير المكان، فثورة فلسطين لا تعرف المستحيل وإن طال الزّمن. وفي قوله[3]:

يَا حَـادِيَ العِـيسِ .. نَعْلِـي لَا تُطَـاوِعُنِي أَغْـرُبْ .. وإِلَّا .. !؟ فَلَـنْ يُجْـدِيكَ مُـؤْتَمَرُ

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، مرجع سابق، ص102

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 202.

[3] المصدر نفسه، ص17

وَاتْــرُكْ نَزِيفِــي .. وحَــاذِرْ أَنْ تُلَوِّثَــهُ يَوْمًا، فَكَمْ حَضَرَتْ (أَوْفَى) ومَا حَضَرُوا
أَغْــرُبْ بَعِيــدًا طَوِيــلَ العُمْــرِ مُخْتَــزِنًا زَيْفَ الشِّعَارَاتِ، (عَامُ الفِيلِ) مُقْتَدِرُ ..!!
هَــا قَــدْ تَعَــرَّتْ عَلَــى الآفَــاقِ سَــيِّدَةٌ عَظِيمَــةٌ بُعَثَــتْ فِي صَــدْرِهَا (مُضَــر)

فإلى جانب توظيف ابن الشّاطئ لأمّ أوفى الّذي يحمل رمزيّة فلسطين وظّف اسما آخر هو (حادي العيس)، وهو دالّ على من يقود الجمال والعيس هي النّوق، وقد تغنّى به الشّعراء في قصائدهم عبر العصور، هو دلالة على السّفر والتّرحال والاغتراب المكاني والوداع والفراق.

وقد استخدمه ابن الشّاطئ دلالة على استحضار الماضي، وما آلت إليه الأمّة العربيّة، فهو يشتاق إلى أمّته العربيّة، كيف كانت وكيف أصبحت هذه الأيّام من شتات وضياع، بتقاعسهم عن الدّفاع عن فلسطين وانقيادهم للغرب وعدم مواجهتهم للمحتّل الإسرائيلي، وهو يقاوم بطريقة استرجاع أيام المجد، ورفض الواقع المرير الذي آلت إليه الأمة العربية.

أُمَّ أَوْفَى .. نَقَــــــاوَتِي رَأْسُ مَــــــالِي أَيْنَمَــا كُنْــتُ .. فالضُّــحَى إِكْلِيــلُ
وَعَلَــى كَفِّــكَ المُخَضَّــبِ عُمْــرِي يَفْــتَحُ الجُــرْحَ والــزِّنَادُ السَّــبِيلُ
لَسْــتُ أَنْسَــى الفَيْحَــاءَ مَهْمَــا اسْــتَبَدَّتْ سُــحُبُ البَــيْنِ وَاعْــتَرَانِي النَّحُــولُ
أَتَحَــدَّى الــدُّجَى .. فَــأَبْحَرُ صَــبًا فِي بِحَــارِ الــرُّؤَى .. وأَنْــتَ الــدَّلِيلُ ..!! [1]

فكلّنا نعرف أن الأمّ والزّوجة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمكان، فهي ترمز إلى الأمن والأمان والوطن، فالشّاعر هنا في غربته يستذكر زوجته الوفيّة وشوقه لها، فهو من خلالها يعبّر عن مدى غربته وشوقه وحنينه لبيته ووطنه، فقد اعتمد على تقنية الاسترجاع ليرتبط بالزّمن الماضي خاصّة استرجاع الأماكن، فيبرز البعد النّفساني للمكان داخل القصيدة. وكذلك في قوله: [2]

لَا تَنَــامِي عَلَــى جِــرَاحِ الأَمَــانِي واســــتَفِيقِي إِذَا هَجَــــرْتُ مَكَــــانِي
وَادْرُسِــي نَفْسَــكِ العَجِيبَــةَ وامْشِــي فَــوْقَ صَــدْرِ الأَنَا وزَيْــفِ المَعَــانِي
وَاحْــذَرِي العُمْــرَ .. لَا تَكُــونِي مَتَاعًــا لِلْــدَّوَانِي .. حَــاوِلِي أَنْ تُصَــانِي ..!!

[1] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 261.
[2] المصدر نفسه، ص 200.

لَا تُعِيــدِي مَاضِــيكِ يَوْمًــا .. وعُضِّــي شَــفَةَ الأَمْــسِ .. امْسَــحِي عُنْــوَانِي
وَابْــدَئِي الشَّــوْطَ .. رُبَّمَــا صِــرْتِ شَــيْئًا رَغْــمَ مَــا فِيــكِ مِــنْ أَذًى واحْتِقَــانِي

فهو هنا أيضا يسترجع الأماكن والزّمن بذكريات تتدفّق معها أحداث عابرة في ذاكرته، فهو كالمريض بأرض سرقت منه قصرا . ومما سبق يمكن القول أنّ الفرد قد يعاني الاغتراب الاجتماعي والسّياسي والنّفسي والمكاني داخل مجتمعه، فلكلّ منه اغترابه الخاص، وما ينجم عنه من إحساس بالوحدة والبعد والعزلة، فالاغتراب ظاهرة اجتماعية نفسيّة متشعّبة منذ القدم ومترابطة بين جميع أشكالها وأنماطها.

المبحث الثاني: الملامح الأسلوبية في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ

غالبا ما تدرس النّصوص الأدبيّة سواء أكانت شعرا أو نثرا وتُنْتَقد وتُغربل وتُصنّف وفق الأَجْوَد والأقبح، حتى اعتمد النّقّاد على مناهج تقرأ النّصوص من جميع جوانبها، إذ بدأت بالمناهج السّياقيّة الّتي ركّزت على الجوانب الخارجيّة للنّصوص والظّروف المولّدة لها والمحيطة بها، ثم تطوّرت من السّياق إلى النسق فبدأت بالبنيويّة ثم السيميائيّة ثم الأسلوبيّة فالتفكيكيّة.

ومن بين المناهج النسقيّة المنهج الأسلوبي الّذي يهتم بتحليل النّصوص الأدبيّة، وقبل أن نلج إلى المنهج بصفة عامّة ارتأينا أن نعرّج على الأسلوب لأنّ الأسلوبيّة تحليل لغوي موضوعه الأسلوب، وهو مصطلح سابق لمفهوم الأسلوبيّة بوصفها علما مستحدثا.

فالأسلوب يُعَرَّف على أنّه "ناحيّة شكليّة خاصّة هي طريقة التّعبير الّتي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه".[1]

ونظرا لخصوصيّة الأسلوب في الدّرس الأدبي فقد تعدّ "قضيّة الأسلوب قضيّة قديمة جديدة، تعرّض لها دارسون كُثر وتعدّدت مناحي النّظر فيها، ولكنّها في مجملها كانت مرتبطة بالدّرس الأدبي أعني نقد الإنتاج الأدبي باعتبار أن الأدب: يمثّل استخداما خاصّا للّغة."[2]

[1] أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط 2، 2003، ص 44.

[2] محمد عبد الله جبر: الأسلوب النحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة، ط 1، الإسكندرية، مصر، 1409، 1988 م، ص 9.

فالأسلوبيّة إذا منهج يهدف إلى دراسة الخطاب الأدبي دراسة أدبيّة متوخيّا الموضوعيّة والعلميّة، وهي طريقة تستكشف الخطاب الأدبي من خلال جسده اللّغوي، ساعيّة بفضل طرائقها وأدواتها المذهلة إلى استخراج ما يكتنزه هذا الجسد من قيّم جماليّة فنيّة، وبناء على ذلك فإنّ الأسلوبيّة تطمح إلى دراسة البنيات الأسلوبيّة في الخطاب الأدبي "البنية الإيقاعيّة، والبنية التركيبيّة، والبنية الدّلاليّة". فإذا كان النّثر يحتفل بجوهر المحتوى أي المعنى، فإن الشّعر يحتفل بشكل المعنى وشكل المعنى هو الأسلوب.

والمطّلع على تجربة الشّاعر ابن الشّاطئ الشّعرية يجد سمات فنيّة قد التصقت بإبداعه، وهذا نتيجة معايشة لحظة ولادة القصيدة من بدايتها حتى تصل إلى المتلقّي، فقد انتقى من كل عصر ما يناسب إحساسه، ويمكننا أن نستأنس بأهمّ السّمات الأسلوبيّة البارزة في الدّيوان ومنها:

1- بنية النداء:

النداء هو: "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمان: الهمزة، وأيّ، ويَا، وآي، وأيَا، وهيَا، ووَا، هي في كيفية الاستعمال نوعان:

- الهمزة أيّ: لنداء القريب.
- باقي الأدوات لنداء البعيد"[1].

هيمن أسلوب النّداء على أغلب نصوص ابن الشّاطئ، والّذي من خلاله أراد أن يبعث صرخة في أعماق ذات كل عربيّ مسلم، ليحرّك السّاكن في كل ذات لها نخوة دفينة في أعماقها تأبى الخنوع والذّلّ لغير الله، فهو أراد أن يبلّغ رسالة لكل حرّ في هذا الوجود ليكسر قيد التردّد، اتخاذ موقف من العدّو، فقد اختار الشّاعر في حديثه عن الوطن بنية النّداء ليصف حاله البائس في توجّع قانط ونحيب يخالطه شجن عميق، وهذا يعني أنّنا أمام ضرب مخصوص من النّداء يفيض منه معنى النّدب والاستغاثة في قوله: [2]

[1] السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في البيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، 2017. ص89

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 16.

يَا حَـادِيَ العِـيسِ كَـمْ جَرَحْـتَ ذَاكِـرَتِي كَــمْ تَطَــاوَلَ فِي بَرْدَيْــكَ مُــدّكِرُ ..!!

فاختار ابن الشّاطئ أسلوب النّداء للتّعبير عن حالته النّفسية التي صارت كئيبة نتيجة ما رأى وشاهد وهو من أهم الأساليب الإنشائيّة الّتي يتّكئ عليها الشّعراء للتّعبير عن حالاتهم أو بثّ انفعالاتهم النّفسيّة، ومكبوتاتهم الدّاخليّة عن انشراح الصّدر أو انقباض النّفس، "ويعتمد ابن الشّاطئ على أسلوب النّداء في تشكليه اللّغوي لخطابه الشّعري، حيث يهيمن على مساحة شاسعة من بنية القصيدة عنده، مما أكسبه خصّيصة أسلوبيّة مميّزة في نتجه الشّعري، فقد شكّله بطريقة غير مألوفة في لغة العرب، وهذا يعتبر خروجا عن معيار اللّغة أو عرف الاستعمال، لأنّ الصّورة المعياريّة لبنية النّداء هي «أنادي + أنا + فلانا»، لكنّ ابن الشّاطئ يحيل هذه الصّورة إلى: «أنادي + أنا + أنا ونفسي» في كثير من المرّات: أي أنّه ينادي ضمير المتكلّم الّذي لا يجيزه النّحو العربي"،[1] فنجده قد استعمل النّداء مرتين في: يا أم أوفى ... تلك جا .....رتنا .... ذاك أخي عمارة[2]

وفي قوله: [3]

يَا حَادِيَ العِيسِ ...!! هَلْ مَرَّتْ قَوَافِلُنَا يَوْمًا؟ وهَلْ ضَحِكَتْ فِي رَمْلِهَا العُصُرُ؟

فابن الشّاطئ قصر أسلوب النّداء في خطابه الشّعري غالبا على جانبه المجازي قربا أو بعدا للتّعبير عما يختلج في صدره من عواطف مشحونة بمرارة الاغتراب القسري عن الوطن. وفي قوله: [4]

يَا أُمَّ أَوْفَى .. يَا سَـــــــــــــــــنَا .. ئِـــي رِمّـــدِي هَـــوَسَ السُّـــكُونِ

لَا تُسْـــــــــرِفِي فِي الظَّـــــــــنِّ يَا حُـــــبِّيَ النَّقِـــــيِّ .. وَلَا تَهُـــــوِنِي

فأمّ أوفى المرأة الرّمز، رمز الوفاء للزّوجة العربيّة الأصيلة، فأداة النّداء «يا» التي تكرّرت مرّات لا يفهم منها قصد النّداء أو التّنبيه بل هي معاني للتّمسك بالهويّة ومقوّمات الأمّة الثّابتة، فأداة النّداء «يا » لا يمكن أن تحمل معنى محدّدا، بل هي أداة ينفث الشّاعر من خلالها تأوّهاته وزفراته متفائلا

[1] عبد القادر العربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، المجلد:6، العدد: 1، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2021، ص71.

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 13.

[3] المصدر نفسه، ص 15.

[4] المصدر نفسه، ص 105.

بقرب الانفراج وتحرّر فلسطين. والمتأمّل لشعر ابن الشّاطئ يقف على ظاهرة نداء الضّمير في أكثر من قصيدة، حيث تواترت بنية النّداء «يا أنا » في مثال قوله [1]:

إِنَّـــنِي مَـــا أَزَالُ أَسْـــأَلُ نَفْسِـــي هَـــلْ تُـــرَى يَا أَنَا يَطُـــولُ انْتِظَـــارِي ..!!

الأصل في النّداء أن يكون موجّها إلى المخاطب، مثلا : يا زيد، فهي منادى مبني على الضّم، لكن تركيب « يا أنا » ضمير المتكلّم لا يحيل على المخاطب، وهنا تميّز أسلوب الشّاعر بتذكير نفسه بأنّه هو المتكلّم والمتلقّي، فهو يخاطب الذّات بالأداة «يا» وهذا يشكّل انزياحا لأنّ الضّمائر تحيل على الشّخص الحاضر أو الغائب أو المخاطب المتكلّم، وضمير « أنا » جاء بعد أداة النّداء «يا » الّتي تفترض أن يكون المتلقّي شخصا مخاطبا، وفي هذا ما يدلّ على دلالة الاغتراب الّتي تفترض أن يكون المتلقّي هو الشّاعر نفسه لأنه في حالة البحث عن ذاته المفقودة وهو في المهجر.

"فبنية النّداء بهذه الطّريقة غير المألوفة في لغة العرب يعد انزياحا في خطابه الشّعري لأن الانزياح إمّا أن يكون خروجا عن النّظام اللّغوي الّذي هو جملة القواعد التي تحكم هذا النّظام أو يكون خروجا عن الاستعمال المألوف للّغة، والشّاعر جمع بين الانزياحين معا".[2]

2- بنية الاستفهام:

الاستفهام هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، ذلك بأداة من أدواته الآتية هي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيّان، وكيف، وأين، وأنّ، وكم، وأيُّ".[3]

"الشّاعر فنّان بطبعه، تتشكّل في ذهنه صوّر ورؤى، وبناء على ذلك التشكّل ومن خلال معايشته للحياة يكتشف أن ثمّة أمورا ينبغي أن تدرك وتتّخذ أشكالا لما هي عليه، للتّعبير عن هذه الصّور وفق رؤيته الخاصّة، وبالشكل الّذي يريد أن تكون عليه في ذهن المتلقّي يستعين بوسائل وأدوات اللّغة، أهمها أدوات الاستفهام لما تزخر به من طاقات تعبيريّة وإشارات تشحن التّركيب

[1] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 64.

[2] محمد العربي الاسد: أسلوبية الانشاء في شعر ابن الشاطئ، مجلة العلوم الانسانية، عدد 45، المجلد أ، جوان 2016، ص231.

[3] السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص78

بإيحاءاتها المتنوّعة."[1] ونرى أن أسلوب الاستفهام في شعر ابن الشّاطئ جاء على وجه الإطلاق إلاّ في القليل النّادر، إذ لا ينتظر من مخاطبه أن يكون له ردّ معيّن أو إجابة محدّدة عن تلك الاستفهامات المتعدّدة، بأدواتها المتنوّعة، لأّن ابن الشّاطئ وهو يتساءل إنّما يتّكئ على أدوات الاستفهام كوسيلة لغويّة حيويّة ليعبّر عمّا يختلج في صدره وما يجول في خاطره، يقول: [2]

هَـــــلْ تَفْهَمِـــــينَ الآنَ مَـــــا أَعْنِيـــهِ ..؟ عَـــانَ مَـــا أُعَـــانِي

وقوله [3]:

هَـــلْ تَشْـــعُرِينَ الآنَ ..؟ أَمْ غَرَقَـــت فِي أَصْـــــغَرَيْكِ الآهُ السُّـــــبُلِ ..؟؟

فالأداة «هل» في هذه الأبيات دخلت على الفعل المضارع (تشعرين، تفهمين) لم تخصّصه للاستقبال، كما يفرضه الوضع اللّغوي، لوجود قرائن لغويّة تخصّص المضارع للحال.

والمتأمّل في شعر ابن الشّاطئ يقف على خصّيصة أسلوبيّة تتمثّل في كونه غالبا ما يستهلّ قصيدته بالاستفهام، ويبلغ اهتمامه به درجة مكثّفة من خلال التّكرارات المتتاليّة، وقد استخدم ابن الشّاطئ أسلوب الاستفهام بغرض تنبيه الغافل عن حقائق جود العدوّ بديار العرب والمسلمين، فهو قد ذكّرنا بالفرص التي أتيحت لنا وكان بإمكاننا تحقيقها لتحرير الأرض من سطوة العدوّ الصّهيوني، لكنّنا ضيّعناها سُدى، ولم ننتبه إلّا بعد فوات الأوان، ومن ذلك قوله: [4]

أَيُصْـــبِحُ الشَّـــرُّ خَـــيْرًا فِي مُحَـــافِلِهِم الرَّافِضُـونَ لِغَـزْوِ الغـربِ قَـدْ جَنَحُـوا ؟!؟

وكذلك في قوله: [5]

وَهَـــلْ بِـــ (جُومَانَـــةِ الـــدَّرَّاجِ) مِـــنْ أَثَـــرٍ ضَـــاوٍ .. تَمَوَّجُـــهُ أَيَّامِنَـــا الغُـــرَرُ ..؟

فهنا يتناصّ الشّاعر مع الشّعر الجاهلي وفيه إحالة إلى (زهير بن أبي سلمة) تأثّره به ظاهر هنا من خلال استحضار المكان، وكذلك دخول أداة الاستفهام «هل» على حرف الجر.

---

[1] السيد أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ص236.

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 185.

[3] المصدر نفسه، ص 198.

[4] المصدر نفسه، ص 187.

[5] المصدر نفسه، ص 15.

وفي قوله: [1]

أُمَّ أَوْفَى .. يَا ضَـمِيرَ الشَّـرْقِ مَـا ذَا فِي الخَفَـاءْ..؟؟

(طَلَـــعَ البَـــدْرُ عَلَيْنَـــا) ونَفَـــرْنَا أَنْقِيَـــاءْ

فَلِمَـــاذَا الآنَ نَرْتَـــدُّ ... ونَمْشِـــي لِلْـــوَرَاءْ ..!!

هنا استحضار لمعنى الإسلام، والفخر بالعرب والدّين، وهو يؤكّد أنّ الشّرف يمنحه الإسلام بدلالة (طلع البدر) في كناية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهو هنا يخاطب أمّ أوفى رمز فلسطين ضمير الشّرق الّذي يأبى أن يصحوا لنصرتها، وهو يعيد التّذكير بتاريخ العرب المشرق في زمن الرّسول صلى الله عليه وسلم، ويقارنه من خلال رمزيّة هذا المقطع، بما آلت إليه ظروف الأمّة العربيّة من تخلّف وانبطاح للغرب والصّهاينة، فيتساءل بعد هذه المقارنة لماذا وصلنا إلى هذه الحالة، ولماذا غاب نور رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد جاء توظيف الاستفهام ب «هل» بصورة انزياحيّة لافتة ثم ب(الهمزة) بدرجة أقل.

3- بنية التّكرار:

التّكرار هو: "دلالة اللّفظ على المعنى مردّدا، كقوله لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردّد اللّفظ واحد"[2].

يُعدّ التّكرار سمة دلاليّة يتمّ من خلالها البحث في العنصر اللّغوي ودلالته من حيث استعمالاته المعجميّة والسياقيّة في التركيب، وتشغل بنية التّكرار حيّزا كبيرا على مساحة القصيدة العربيّة الحديثة، وهي من أهمّ التّقنيات الّتي يتّكئ عليها الشّعر الحديث المعاصر، يعود اهتمام الشّعراء ببنية التّكرار لما لها من طاقات تعبيريّة هائلة، وقد كان لهذه الظّاهرة بكل أنماطها:

[1] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 124.

[2] عمر بوقمرة، المنار في مصطلح التكرار: قراءة دلالية بلاغية، مجلة إمارات، المجلد 03، العدد:02، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، سبتمبر 2019. ص62

تكرار الحرف، اللّفظة، العبارة، البيت النّصيب الأوفر في شعر ابن الشّاطئ، ولكل شكل من هذه الأشكال دوره الخاص به في الكشف عن جوانب التّأثير النّفسي، أو الانفعال العاطفي لدى الشّاعر والمتلقّي على حدّ سواء، وقد حفل شعره بكل أنماط التّكرار.

ومن نماذج تكرار الكلمة في شعره هي ظاهرة لافتة، ما جاء في احدى مطوّلاته مشرّحا الواقع العربي المتخاذل إزاء القضيّة الفلسطينيّة، بل المتآمر عليها بالسّكوت والخنوع وزرع اليأس في النّفوس، حيث يقول: [1]

يَا حَـادِيَ العِـيسِ كَـمْ جَرَّحْـتَ ذَاكِـرَتِي ... وَكَـمْ تَطَـاوَلَ فِي بُرْدَيْـكِ مُـذَكِّرُ ..!!
نِعْـمَ الأَلِيفَـانِ .. أُنْثَـى الـرِّيحِ مُدلجَـةٌ ... أَنْـتَ نِعْـمَ اللَّيَـالِي السُّـودِ والخفَـرُ
فَكَـمْ مَـرَرْتَ عَلَـى الـوِدْيَانِ مُنْبَسِـطًا ... كَـمْ تَمَرَّغْـتَ فِي خَـدَّيْكَ مُنْحَـدِرُ ..!!
وَكَـمْ أَنِيخْـتُ أَمَـانٍ كُنْـتَ تُنْشِـدُهَا ... جَهْـرًا .. فَتَطْـرُبُ مِـنْ مَوَّالِـكَ العِـبَرُ ..!!
وَكَـمْ تَنَاغَمَـتِ الكُثْبَـانُ مَائِجَـةً ... والحُـبُّ يُزْهِـرُ فِي أَحْضَـانِهِ القَمَـرُ

يوجد هنا تكرار واضح بالأداة «كم» وهي دلالة على كم الخبريّة أي العدد لدخولها على الفعل.

والمتأمّل هذه الأبيات يقف على ذلك الصّراع الّذي تمثّله جدلية العلاقة بين الثّابت المتحوّل، فالثّابت هو الواقع العربي المخزي حيال القضية الفلسطينيّة وتركها تضيع، أمّا المتحوّل فهو هذا الرّفض الصّارخ في صورة طفل حجارة لإنقاذ شرف العروبة، وزرع الأمل واختار الشّاعر تقنية تكرار الكلمة متّخذا اسم الاستفهام «كم» للتّعبير عن تركيبة القبول والرّفض للمستعمر.

وهناك نوع آخر من تكرار الكلمة أو العبارة وهو ما يمكن الاصطلاح عليه بتكرار الظّاهرة، بحيث تكرّر كلمة ما، أو عبارة ما في أكثر من قصيدة، وهذا النّوع يوحي بتأثّر الشّاعر بحدث ما أو انبهاره بلفظة ما، فيكرّرها في أكثر من موقع في النّص، أو في أكثر من قصيدة، وله دلالات نفسيّة أكثر منها جماليّة، ومن ذلك تكرار الشّاعر لفظ: (أمّ أوفى) في أكثر من قصيدة، حيث لا نكاد نعثر

[1] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص 16.

عن قصيدة واحدة لم يرد فيها لفظ (أمّ اوفى)، بل يتكرر هذا اللّفظ مرّات ومرّات في القصيدة الواحدة بشكل لافت، ما يمنح القصيدة حركيّة قيميّة.

ومن أمثلة تكراره (أمّ اوفى) مسبوقة بياء النّداء(يا أمّ أوفى) بصورة لافتة، و(أم أوفى) خارج النّص الشّعري لابن الشّاطئ هي زوجة الشّاعر الجاهلي زهير ابن ابي سلمة، الّتي طلّقها وبعد عشرين سنة ندم على ذلك لما عرف لها من وفاء له حتى بعد زواجه بغيرها، وعند ابن الشّاطئ هي زوجته «سعاد» المرأة الرّمز، رمز الحبّ والوفاء كزوجة، ورمز الوفاء والانتماء كأرض فلسطين، فأطلقها من قيدها المعجم، وإنزاح بها عن جانبها المجازي لتحمل كلّ دلالة تنسجم مع نفسيّة الشّاعر والمتلقّي على حدّ سواء.

4- التّناص:

إنّ مفهوم التّناص ينطلق من تناسل النّصوص مع بعضها البعض، فهو يعتبر " علاقة حضور مشترك بين نصّين وعدد من النّصوص الاستحضارية eidetiquement، وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنصّ في نصّ آخر."[1]

فالقرآن فضاء واسع يحوي الكثير من الرّموز والقصص الّتي توفر للشّاعر فرصة اقتناء الألفاظ والمعاني، فقد وجد ابن الشّاطئ فيه كل ما احتاجه من رموز تعبّر عمّا أراده من حنين شوق لوطنه، ومنها ما ورد في كثير من القصائد التي يتناصّ فيها مع سورة الفتح " تيمّنا بالفتح القريب على القضيّة الفلسطينيّة، فما يحدث للمسجد الأقصى يحتاج فتحا من الله يُظهر به الحقّ وينصر بلاده على أعداء البلاد والعباد"[2] فيقول وهو متفاءل بالانتفاضة وما ينتج عنها من انتزاع للحريّة:[3]

صَـافَيْتُهَا مِـنْ قَبْـلِ، وَانْفَطَمَـتْ عَلَـى صَـدْرِي .. فَكَـانَ الفَـتْحُ خَـيْرَ كِتَـابِ

[1] جيرار جينيت: طروس الأدب على الأدب، آفاق التناصية مجموعة من المألفين: آفاق التناصية المفهوم والمنظور. تر: محمد خير البقاعي، ط 1، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، 2013، ص 160.

[2] مديحة بشير الشريف: انفتاح النص الشعري على التناص الديني، قراءة في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد1، 2020، ص 524.

[3] بن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص26.

وقوله: [1]

(إنَّا فَتَحْنَـــــا) مِـــــنْ مَلَامِـــــحِهَا دَوْمًـــا .. ومِـــنْ أَجْفَانِهَـــا عُمْـــرُ

فالشّاعر في استدعائه للآية الكريمة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية رقم 1 من سورة الفتح، نجده يقتبس منها لفظا ظاهرا في بعض أبياته الّتي تدلّ على الاقتباس الصّريح، فالآية تدل على فتح مكة، فهو تيمّن بالفتح العظيم للأقصى، فنجده يستبشر من خلال هذا الاقتباس بالأجداد والانتساب للعروبة، ومن توظيفه للقصص القرآني نجد ابن الشّاطئ يتناصّ مع قصّة سيّدنا يوسف – عليه السلام– ومعاناته مع زوليخة زوجة عزيز مصر واتهامها له بهتانا وظلما بقوله [2]:

كَانَـــتْ وكُنْـــتُ .. عَلَـــى الهَـــوَاءِ والـــرِّيحُ تَصْـــهَلُ فِي العَـــرَاءِ
وَنَوَافِـــذِي تَحْـــتَجُّ خَلْـــفَ الغَـــيْمِ مِـــنْ فَـــرْطِ البُكَـــاءِ
وَأَصَـــابِعِي العَطْشَـــى تُغَـــر.. ..غِـــرُنِي .. تَطْلُـــعُ مِـــنْ دِمَـــائِي
مَـــاذَا دَهَـــانِي عِنْـــدَمَا هَمَسَـــت: مَـــتَى يَـــدْنُو لِقَـــائِي ..؟؟
أَنَا مَـــرْأَةٌ أُنْثَـــى .. وأُدْ ..رِكُ مَـــا يُجَسِّـــدُهُ عَطَـــائِي
بِالأَمْـــسِ رَاوَدْتُ الأَنَا وفَتَحْـــتُ أَبْـــوَابَ اشْـــتِهَائِي
وَرَكَضْـــتُ خَلْـــفَ ضَـــفَائِرِي والشَّـــوْقُ يَـــرْكُضُ فِي رِدَائِـــي
لَكِنَّـــنِي أَجْمَـــتُ نَفْســـ ...ـــي وَاتَّهَمْتُـــكُ فِي الخَفَـــاءِ .. !!

وظّف ابن الشّاطئ هذا التّناص بطريقة فريدة بين النصّ الشّعري والقصص القرآني أعطاه بعدا جماليا، فاستحضر قصّة سيّدنا يوسف –عليه السلام– لأنّها مفعمة بالأحداث، فهو يمثّل الشّعب الفلسطيني الضّعيف، وإسرائيل الظّالم المحتلّ في صورة زوليخة زوجة عزيز مصر، فمثّل ظلمها وافترائها عليه باغتصاب الأرض وتدنيسها من طرف الصّهاينة، من خلال الآية رقم 23 من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

[1] بن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص253

[2] المصدر نفسه، ص99

فهو يتّكئ كثيرا على قصّة سيّدنا يوسف – عليه السلام– في ديوانه وذلك بطريقة ساخرة لنقل الواقع المزيّف في قوله [1]:

كَظَمْتُ غَيْظَ رِيَاحِي عِنْدَمَا اِنغَلَقَت أَبْوَابُهَا .. وَتَحَدتْنِي شَظَايَاها

وكذلك اعتمد ابن الشّاطئ على التّلميح والترّميز لينقل دلالات الواقع العربي، والبارز منه تخلّي العرب عن القضيّة الفلسطينيّة، فاستحضر صفات الصّهاينة وأهمّها: المكر، الخداع الّتي تتشاطر بها علاقة زعماء العرب بالقضيّة الفلسطينيّة، فاستحضر أحاديث شريفة كشفت زيف ونفاق المناصرين حيث يقول: [2]

يَسْتَنْزِفُونَ الضُّحَى فِينَا عَلَانِيَةً ويَحْرُسُونَ عَلَى بَعْضِ التَّمَاثِيلِ..!؟
وَيَظْهَرُونَ عَلَيْنَا سُجَّدًا غُبُرًا وَفِي عَبَاءَاتِهِمْ غِيلَت شَعَالِيلِي
نَسُوا مَنَازِلَتِي الكُبْرَى .. أَمَا عَلِمُوا أَنَّا كَسَرْنَا حُدُودَ القَالِ القِيلِ ..؟؟
لَا تَيَأَسِي مِنْ مُعَانَاتِي لَقَدْ سَطَعَتْ شَمْسُ الجَلِيلِ .. وَوافَتْنِي قَنَادِيلِي ..!!

وفي موضع آخر يقول: [3]

وَاحْتَرَفَتِ النِّفَاقَ شَكْلًا وَمَعْنًى وتَمَادَتْ رِيَاحُكِ الهَوْجَاءُ ..!!

فهذه الأبيات كلّها تحوي تناصّ مباشر وغير مباشر، فهي تدلّ على المنافقين وصفاتهم، فهذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، وقد جعلهم الرّسول صلى الله عليه وسلم أشرّ خلق الله."[4]

وابن الشّاطئ يدرك مدى استطاعة حكّام العرب تمثيل هذا الدّور على الشّعوب العربيّة، فهم يحترفون الزّيف والتّضليل (النّفاق)، فهو قد استعان بالأحاديث الّتي وردت للبحث عن حقائق طمسها أعداء فلسطين، وقد دعم ابن الشّاطئ ذلك باقتباسها المعاني والألفاظ من الأحاديث النّبوية، والّتي تبرز خبث المنافق ووضاعة قدره، وقد أضفى هذا الاقتباس على الأبيات الشّعرية جماليّة، كما

[1] المصدر نفسه، ص139

[2] ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، ص108

[3] المصدر نفسه، ص 157.

[4] مديحة بشير الشريف: انفتاح النص الشعري على التناص الديني، ص 233.

ساعد المتلقّي في الكشف عن الأبعاد الإيحائيّة الباطنيّة. إنّ ابن الشّاطئ اتخذ من بنية الأساليب وسيلة لعرض أفكاره، وبثّ مشاعره في خطابه الشّعري، لكونها أكثر الأدوات تعبيرا عمّا يختلج في نفسه ومكنوناته.

خاتمة

خاتمة:

وختام هذا البحث توصّلنا إلى جملة من النّتائج تمثّلت فيما يلي:

- ظاهرة الاغتراب في دائرة أدب المقاومة تعدّ من السّمات الأساسيّة للوجود الإنساني، وقد رافقته منذ بداية وجوده على هذه الأرض والّتي أدّت إلى اختلال التوازن في أسلوب الحياة بمختلف جوانبها، حيث يشعر الإنسان بعدم الأمان متّجها نحو الانعزال بكل ما تحمله هذه الظّاهرة من معاني الانسلاخ، الاستلاب، الانفصال.
- التّداخل والتّشابه بين مصطلح الغربة والاغتراب لفظا ومعنى، حيث يصعب التّفريق بين اللّفظتين إلّا من خلال تذوّق النّص من الدّلالة والأبعاد الّتي يرمى لها.
- تطرّق الباحثون إلى دراسة مصطلح الاغتراب نظرا لأهميّته وتداخله في شتّى المجالات لكونه ظاهرة لها علاقة بالوجود والتّفاعل الإنساني وملازمة له عبر مرّ العصور.
- عبّر الشّعراء العرب عن تجربتهم الشّخصيّة المقاومة عن الغربة والاغتراب عبر مختلف العصور الأدبيّة المختلفة منذ العصر الجاهلي والإسلامي إلى الحديث والمعاصر من خلال قصائدهم، حيث كانت تنبع من دوافع اجتماعيّة واقتصاديّة مثل: الوقوف ضد الطّبقيّة، الفقر، الجوع، الظّلم، النّفي حيث عكس شعرهم هذه التّجربة القاسيّة.
- الاغتراب في الشّعر ليس بالضّرورة أن يكون اجتماعيا فقط أو نفسيا فقط، ونحن قد وقفنا على التّداخل والتّرابط بين جميع أشكاله وأنماطه والّتي تشكّل الاغتراب في عميق تفاصيله، فالاغتراب السّياسي على سبيل المثال يؤثّر في الاغتراب الاجتماعي وبدورهما يؤثّران في الاغتراب النّفسي.
- لم يكن الاغتراب في شعر ابن الشّاطئ دعوة إلى الاستسلام، بل كان في معظمه دافعا قويّا للتحرّر والعودة إلى الأرض.

- أجبر الكيان الصّهيوني ابن الشّاطئ على ترك وطنه فلسطين وأهله متذوّقا ألم الانسلاخ عنه، ومرارة الفراق والحزن الّذي تكبّده نتيجة الحرمان من الوطن والأهل من خلال مختلف أعماله الشّعرية أبرزها موضوع بحثنا.
- استخدم ابن الشّاطئ أساليب إنشائيّة بارزة في ديوانه أمدّته بطاقات تعبيريّة هائلة، وقد شكّلت ظاهرة أسلوبيّة بارزة من خلال انزياحها عن وضعها اللّغوي لاسيما بنية النّداء والاستفهام.
- اتّخذ ابن الشّاطئ من بنية التّكرار وسيلة للتّعبير عن ألمه وأمله ممّا جعل صدى مشاعره يتردّد مع كلّ بنية تكرار.
- اعتمد ابن الشّاطئ على دلالات أسلوبيّة كثيرة (نداء، استفهام، تكرار، تناص) ليكيّف تجربته الشّعرية ويشحنها بدلالات عميقة وإيحاءات متعدّدة تستدعي حضور متلق واع.
- ديوان ابن الشّاطئ استنطق اللّغة والصّورة والإيقاع بأساليب إيحائيّة ووجدانيّة.
- اهتمّ ابن الشّاطئ بالتّناص الدّيني لما يحمل من قضايا تخصّ الانتماء والوحدة أملا في خروج الذّات الفلسطينيّة من مأزقها.
- تضمّن المعجم الشّعري لابن الشّاطئ آلاما كثيرة رافقتها آمال ورغبة في الحياة تركت تأثيرا قويّا على القارئ حين يتأمّلها.
- إنّ شعر ابن الشّاطئ أرض بكر، مازالت الدّراسات لم تكتشفها بعد، وهو جدير بأن يكون مجالا صالحا للدّراسات النقديّة والأدبيّة، وذلك لما يتميّز به من خصائص أسلوبيّة نادرة في الشّعر العربي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

أولا: المصادر

1. أحمد ابن فارس ابن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، تج: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، الجزء الرابع.

2. إسماعيل إبراهيم شتات (ابن الشاطئ)، أبجدية المنفى والبندقية، رابطة الإبداع الثقافية، ط01، الجزائر، 2004.

3. امرؤ القيس: الديوان، تح: مصطفى عبد الثاني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.

4. بطرس البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ط9، 15 آب 1960.

5. جميل صليبة: المعجم الفلسفي (بألفاظ العربية الفرنسية الانجليزية اللاتينية)، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان (دط)، 1982م.

6. عنترة بن شداد، ديوان عنترة: تحقيق ودراسة سعيد المولدى، المكتب الاسلامي، (دط)، 1964م.

7. عنترة بن شداد، ديوان عنترة، تحقيق خليل الخوري، مجلس معارف للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1893م.

8. ابن منظور: لسان العرب، مج 11، مادة(غرب)، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط4، 2008،

9. محمد عبد الله جبر: الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة، الإسكندرية، ط 1، 1409، 1988م.

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم عوض، فن الشعر الحديث، تحليل وتذوق، المنار للطباعة، القاهرة، د ط، 2006م.

2. أحمد الشايب، الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط 2، 2003.

3. إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب-التمرد قلق المستقبل-، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011..

4. جيرار جينيت: دروس الأدب على الأدب، آفاق التناصية مجموعة من المؤلفين: آفاق التناصية المفهوم المنظور. تر: محمد خير البقاعي، جداول للنشر التوزيع، لبنان، ط 1، 2013.

5. حسن الحماد: الانسان المغترب عند ايريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر 2005.

6. حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

7. خليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

8. ذياب قديد: المتنبي بين الاغتراب والثورة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.

9. رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2015م.

10. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

11. صابر عبد الدايم، أدب المهجر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993.

12. عبد الرزاق الخشوم: الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (دط)،1982م.

13. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب. دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة. 2003.

14. عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعراء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

15. فاطمة جهشيدي: ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليه إضاءات نقدية، السنة السابعة، ع 27، 2017م.

16. فريد امعضتو: الاغتراب في الشعر الاسلامي المعاصر، (دن)، (دب)، ط1، 1436هـ، 2015م.

17. محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتز للنشر والتوزيع الاردن. عمان.

18. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ت .

19. مصطفى حمودة، المقاومة في أدب مفدي زكرياء، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، عدد 17، محرم 1434هـ- ديسمبر 2017م.

20. مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، باب كتاب الامام، باب بيان الإسلام، بدأ غريبا سيعود غريبا.

21. والتر فيسكوف، الاغتراب الوجودي، تر: كامل يوسف حسن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، د.ط، د ت.

22. يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008م.

ثالثا: المقالات العلمية

23. جديدي زوليخة: الاغتراب، مجلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر، ع8، جوان.

24. حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول + الثاني، 2011م،

25. رافد سالم سرحان شهاب: أثر الغربة والاغتراب في الشعر الجواهري، مجلة التقني، المجلد 26، العدد6، 2019م.

26. سعد مردف: الاغتراب وتداعياته في القصيدة العربية، مجلة الخطاب والتواصل، المجلد الثاني، العدد 9- ديسمبر 2022.

27. عبد القادر العربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر- المجلد:6، العدد: 1(2021).

28. قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر العاشر، العدد الأول، وزارة الاعلام، الكويت،1979م.

29. مديحة بشير الشريف: انفتاح النص الشعري على التناص الديني، قراءة في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد1، 2020.

الملاحق

الملحق رقم 01: ديوان ابن الشاطئ

ابن الشاطئ، أبجدية المنفى والبندقية، رابطة الإبداع

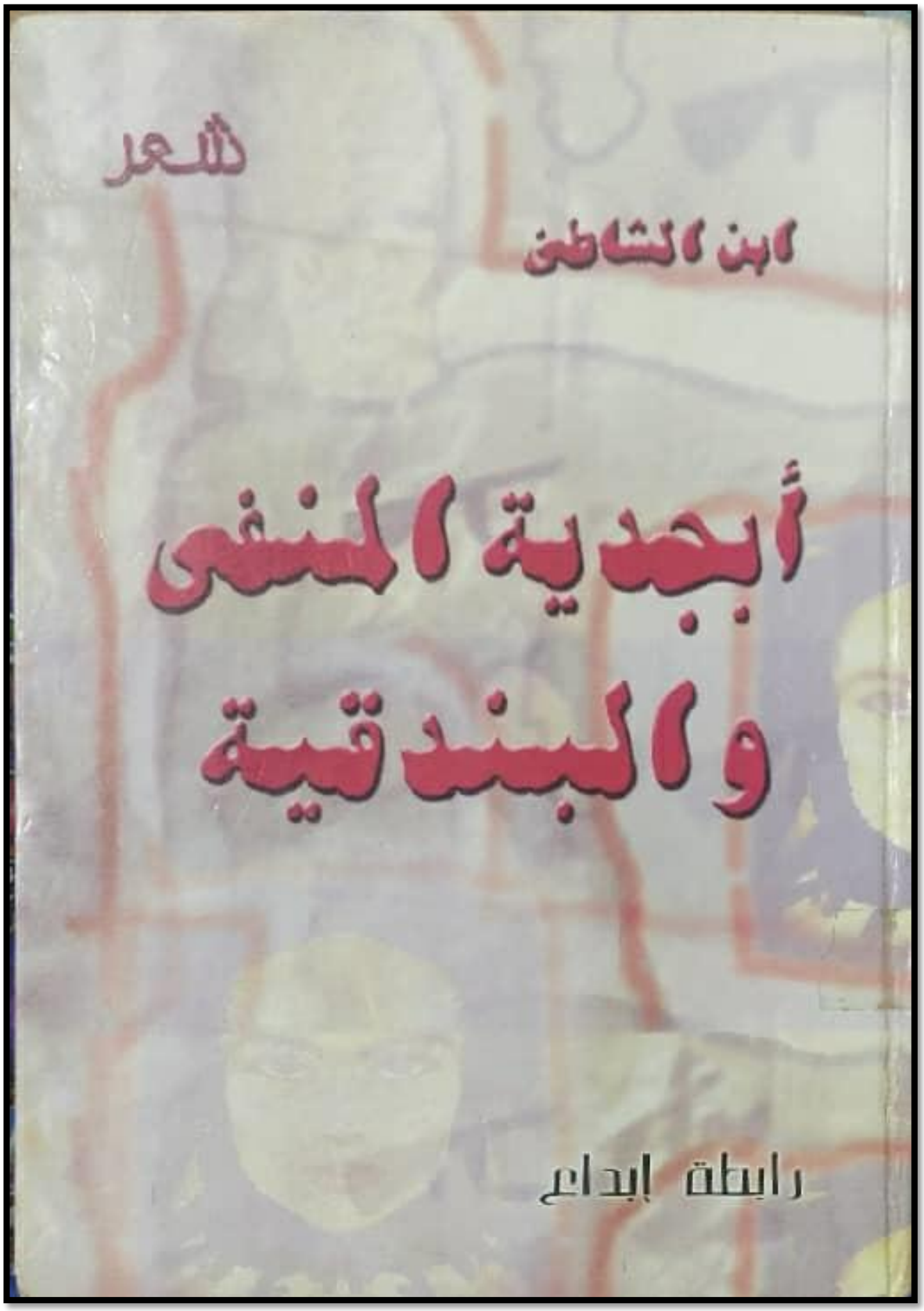

الملحق رقم 02: صورة ابن الشاطئ

التعريف بالشاعر:

هو إسماعيل إبراهيم المعروف بابن الشّاطئ، من مواليد قرية الجسير بين الخليل وغزّة عام 1939م، ذاق مرارة اليتم باكرا حمل لواء رعاية أسرته المكوّنة من ستّة أفراد، عن اسمه تقول الدّكتورة "حسناء بوعلاّق" "ابن الشّاطئ" هكذا سمّى نفسه فعاش كما اسمه على شاطئ الحب والعشق هائما بربوع أمّته الحبيبة، ووطنه الغالي، أمّا اسمه في بطاقة الهويّة فإسماعيل إبراهيم شتّات وكان له من اسمه النّصيب الأوفر، نبغ في دراسته رغم حداثة سنّه إلى أن أصبح من أفضل شعراء الضفّة الغربيّة والأردن في خمسينيات القرن الماضي، التحق بصفوف الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة في سنّ مبكّرة سجن فكان سجنه بداية لإلهامه الشّعري، ومهدا خصبا لبداية ولادة روائعه السّحريّة، فرّ من السجن العسكري بمساعدة رفاقه، وحكم عليه بسبعة عشر عاما، فكانت وجهته لبنان، لكن سرعان ما شدّ الرّحال إلى مصر، هناك اجتهد في دراسة اللّغة العربيّة فتتلمذ على أساطينها من أمثال الدّكتور طه حسين، وإسماعيل عزالدّين، وعائشة عبد الرحمان المعروفة ببنت الشّاطئ، ربّما كان تأثيرها عليه بارزا ممّا استدعى إطلاق لقب ابن الشّاطئ عليه مستقبلا، موطنه الأوّل فلسطين وهي موطن ألحانه وأشجانه وصرخاته، اتّخذ من قضية فلسطين المنهل الأوّل الّذي يرتوي منه، فأصبح شعره نبضا صادقا لكلّ الفلسطينيين، وانتقل إلى سوريا واشتغل في عالم الصّحافة كمحرّر في جريدة سياسيّة، وفي مدينة اللاّذقية كان مهوى فؤاده "سعاد قدسي" فتزوّجها وعاش معها زمنا رغيدا متنقّلا هنا وهناك، وفي سوريا أسّس أوّل رابطة أدبيّة سمّاها "رابطة أدباء السّاحل" عام 1966م، كما أنّه كان أحد مؤسّسي اتّحاد الكتّاب العرب في سوريا، التحق في يناير 1965م بالثّورة الفلسطينيّة فتقلّد عدّة مهام سياسيّة وإعلاميّة وعسكريّة، إلى أن انتهى به التّرحال إلى الجزائر الّتي قال فيها:[1]

وان سهم أصابك في بلاد ففي الجزائر لن تصابا

[1] عبد القادر العربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر- المجلد:6، العدد: 1(2021)، ص61.

مع بداية السّبعينيات حطّ ابن الشّاطئ الرّحال ببلد الشّهداء ليعمل مدرسّا في مدينة وهران بعدها انتقل إلى الإعلام، وعند تأسيس الإذاعة الجزائريّة الموجّهة للمشرق العربي استدعي ابن الشّاطئ ليكون أحد أبرز معدّي ومقدمي البرامج الثقافيّة فيها، تزامنا مع إعداده لبرنامج "كلمات إلى فلسطين" في إذاعة فلسطين الّتي كانت تبثّ من الجزائر، واشتغل مدرسّا في كلّ من تيزي وزو ومعسكر جيجل، إبّان وجوده بالجزائر ربط علاقات حميميّة مع قامات شاعريّة كفاءات فنيّة منها شاعر الثّورة مفدي زكرياء الّذي لقّبه ب "شاعر الثّورة الفلسطينيّة" لأن فلسطين كانت شغله الشّاغل، كما كانت له علاقات متينة مع الشّاعر محمد الأخضر السّائحي، لقد كانت أشعاره قذائف على المستبد الصّهيوني، فقد حرّك مشاعر العرب جميعا، وسافر بنا جميعا إلى الأرض المحتلّة محذّرا ومتوعّدا العدوّ من غضب الجماهير، وأنّ فلسطين أرض عربيّة طال الزّمن أم قصر لابدّ من عودتها لأهلها إن وثقوا في ربّهم، وتوحّدوا وصاروا بقلب رجل واحد، لقد ترك لنا آثارا مطبوعة ولكنّها نادرة الوجود بالمكتبات، وهي تمثّل دررا من موهبته الشّاعريّة، ومن عطائه الإبداعي غير المحدود، فمن دواوينه التي رأت النّور في حياته أذكر ما يلي:

خفقات قلب طبع عام 1964م بسورية.

محطات على ذاكرة الزمن طبع عام 1966م بسورية.

دائرة الرفض طبع عام 1978م على عاتق إتحاد الكتاب الفلسطينيين.

الزمن الفلسطيني في البعد الثالث طبع عام 1979م ببيروت.

غاليتي لا تجيد فن الرقص طبع عام 1983م ببغداد.[1]

ميسون سرطان الموقف الصعب طبع عام 1983م ببغداد.

اعترافات في عز الظهيرة طبع عام 1983م ببغداد.

الحدائق المعلقة والزمن البديل طبع عام 1999م ببغداد.

[1] عبد القادر العربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر- المجلد:6، العدد: 1(2021)، ص61-62.

دوامة النخل وسيف الحق.

أبجدية المنفى والبندقية طبع عام 2004م رابطة إبداع الثقافية الجزائر.

أم أوفى تتجدد رغم الليل الطويل طبع عام 2007م في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية.

كما كانت له أعمال نثريّة ودراسات أدبيّة وسياسيّة مشتّتة هنا وهناك، وله نتاج مدرسي ودراسات أكاديميّة منه كتابه "الشّامل الميسّر في قواعد اللّغة العربيّة" في ثلاثة أجزاء، من أهمّ روائعه معلّقة بابل وقصائد تقطر شهدا وسلسبيلا، وبعد نشاط وحركة دؤوب صمت هذا الصّوت للأبد ليترك ساحة الإبداع موحشة تنتظر كلماته الرّصينة، وجمله الموحية لتملأ المكان والزّمان، فرحمك الله يا ابن الشّاطئ لقد ملأت الدّنيا، وشغلت النّاس من بعدك، فللّه درّك والله يتولّاك برحمته، لما فاضت روحه إلى ذات بارئها ذات يوم من عام 2008م رثاه الشّاعر سليمان جوادي بأبيات تبقى خالدة إلى الأبد:

إنهض فأنت الزيت والمشكاة

وإسطع علينا إنها المأساة

يا فارس الفصحى وزين شبابها

حالت علينا بعدك الأوقات

أكتب على حال العروبة غافي

فالحي... أنت وكلنا أموات[1]

[1] عبد القادر لعربي: جماليات التشكيل اللغوي في تجربة ابن الشاطئ الشعرية من خلال ديوانه "ابجدية المنفى والبندقية": مجلة دفاتر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر- المجلد:6، العدد: 1(2021)، ص62-63.

فهرس الموضوعات

إهداء .....
ملخص **1**
مقدمة **1**
تمهيد: ملمح عن واقع الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر **5**
الفصل الأول: ماهية الاغتراب وأثره عند الغرب والعرب **8**
المبحث الأول: المقاومة لغة واصطلاحا **9**
الاغتراب لغة واصطلاحا **10**
1- الاغتراب لغة: 10
2- الاغتراب اصطلاحا: 11
المبحث الثاني: مفارقة اصطلاحية بين الغربة والاغتراب **12**
المبحث الثالث: الاغتراب عند الغرب والعرب **13**
1- الاغتراب عند الغرب: 13
2- الاغتراب عند العرب: 15
3- الاغتراب في الشعر الرومانسي: 18
الفصل الثاني: أنماط الاغتراب وبعض ملامح الأسلوبية في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ .. **20**
المبحث الأول: أنماط الاغتراب في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ **22**
1- الاغتراب الاجتماعي: 22
2- الاغتراب السّياسي: 23
3- الاغتراب النّفسي: 27
4- الاغتراب المكاني: 29
المبحث الثاني: الملامح الأسلوبية في ديوان أبجدية المنفى والبندقية لابن الشاطئ **31**
1- بنية النداء: 32
2- بنية الاستفهام: 34
3- بنية التّكرار: 36
4- التّناص: 38
خاتمة **42**
قائمة المصادر والمراجع **45**
الملاحق **49**

فهرس الموضوعات..... 55